التذكير

بالمرجع والمصير

بسم الله الرحمن الرحيم

التذكير

بالمرجع والمصير

تصنيف

محمد كمال الدين الأدهمي

المتوفى سنة ١٣٧٢هـ

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م

مقدمة التحقيق

الحمدُ لله الحيِّ الذي لا يموت، والصلاةُ والسلامُ على صاحبِ الشفاعةِ يومَ الدين، وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين، وبعد:

فهذا كتابٌ فيما أُمرنا بذكره، وهو الموت، وأحواله، وبتعبيرِ المؤلف: "رسالةٌ في التذكيرِ بالمرجعِ والمصير، ممّا يلاقيهِ الإنسانُ في آخرِ حياته، إلى أن ينزلَ به نازلةُ مماته، فيُحمَلُ إلى قبرِهِ فيُقبر، ويُسألُ عمّا قدَّم وأخَّر".

وقد صوَّر حالَ الإنسانِ في صحَّته ومرضه، وبصَّرهُ بعواقبِ الأمور، وبيَّن حالةَ الاحتضارِ الرهيبة، وسكراتِ الموت، وخروجِ الروح، وعلاماتٍ تبدو على الميت.

وتحدَّث عن أحكامِ البكاء على الميت. والتعزية والمآتم، والغسلِ والتكفينِ والتشييع، والصلاةِ على الجنازة، وتلقينِ الميّت. وتحدَّث عن قضاءِ دَينِ المتوفَّى ووصيَّته، وعن نعيم القبرِ وعذابه، وزيارةِ القبور، ونقلِ الميت، وأخيراً عن الشهداء، وموت الأطفال، الذي ختمهُ بذكرِ وفاةِ ثلاثةِ أطفالٍ له.

كما تطرَّق إلى موضوعاتٍ حديثةٍ في عصره، وعاداتٍ منها وأحوالٍ مما يتعلق بالوفاة، مثلَ جريمةِ الانتحارِ وتكريم المنتحرين! والمطاعمِ في المآتم، ونقلِ الجنازة بالسيارات، وتشريحِ الجثَّةِ والتمثيل بالميّت.

وصدق فيما ذكرهُ في المقدِّمة من أن أكثَرهُ من السمعيِّ المنقولِ عن سيِّدنا رسول الله ﷺ، وإن كان قد خلطَ بين الصحيح والضعيفِ والموضوع، وبيَّن تخريجَ جميع الأحاديثِ تقريباً، ولكنَّهُ لم يبيِّن حكمها، وهو المهم، فكان أن ركزتُ على هذا في تحقيقِ الكتاب، الذي اعتمدتُ فيه على طبعةٍ له وحيدة أصدرتها المطبعة السلفية في القاهرة عام ١٣٤٩هـ، وتقعُ في ٥٦ صفحة، فوثَّقتُ ما ذكرهُ من تخريجٍ بنسبةِ الأحاديثِ إلى مصادرها، ثم بيانِ حكمها من صحةٍ أو ضعفٍ أو وضع، نقلاً عن علماءِ التخريج والجرحِ والتعديل، مع ذكرِ الملاحظاتِ والتعليقاتِ اللازمةِ أثناء التخريج، مثل موافقةِ ألفاظِ الحديثِ لما ذكرهُ المؤلف منها أو تقاربها.

كما قمتُ بضبطِ أواخرِ الكلماتِ في الكتابِ كلِّه، ووزَّعتُ علاماتِ الترقيم في ثنايا متنه، وزدتُ من تقسيم فقراته.

ولولا ما شابهُ من نقولاتٍ لم تصحّ، لكان كتاباً رائعاً حقاً، وقد بيَّنتُ حالَ كثيرٍ منها. ويبقى كتاباً

مفيداً ومؤثّراً، يرقّقُ القلب، ويذكّرُ المؤمنَ بمآله، وما ينبغي أن يتزوَّد به.

وقد كتبهُ بقلمٍ رشيقٍ بليغ، وخاصَّة أن المؤلف كان خطيباً بارعاً وموفَّقاً، وشاعراً مطبوعاً، وقد زوَّد الكتابِ بشعرِ شعراء، وبشعرهِ الرقيق أيضاً.

والمؤلف هو محمد بن محمد بن عبدالقادر بن علي الحسيني الأدهمي، كنيتهُ أبو عبدالرحيم، ولقبهُ كمال الدين، واسمُ الشهرة الذي اختاره لنفسه ونشرَ به كتبه "محمد كمال الدين الأدهمي".

وقد ولدَ بطرابلس الشام سنة ١٢٩٦هـ، وحفظَ القرآن الكريمَ على يدِ والده، ودخلَ مدارسَ الدولةِ العثمانية، فأجادَ اللغة التركية، ثم تلقى العلومَ الشرعية على بعضِ متخرّجي الأزهر من علماء طرابلس. ثمَّ درَّس بمدارس الحكومةِ العثمانية بالبصرة وطرابلس – وكان من أعيانها ونقيب أشرافها– وأدرنة والآستانة، كما عمل خطيباً بجامع السلطان محمد الفاتح بإستانبول، وكان عضواً في عدة لجانٍ بوزارةِ المعارف.

وقد هاجرَ إلى مصر عام ١٣٤٤هـ بعد انقلاب مصطفى كمال وسقوطِ الخلافة العثمانية، واستُغنيَ عن خدماته هناك، وكان جدُّه نقيبَ أشرافِ مصر، فحصلَ هو على الجنسيةِ المصرية، وكان عضواً في نقابةِ الأشراف، وتعيَّن موظفاً بقسمِ المحفوظاتِ التاريخية بالديوانِ الملكي في عصرِ الملكِ فاروق. وقد تزوَّج بامرأتين، ماتت إحداهما سنة ١٣٤٨هـ، فتزوَّج بأخرى، ورُزقَ بأولادٍ من كلتيهما. وأُثِرَ عنه الميلُ إلى العزلة، والاهتمامُ بتصنيفِ الكتبِ ونظمِ الشعر، وفي شعره تأمُّلٌ في الكون، والحياة، والمصير، من منظورٍ مشبَعٍ بالإيمان، متعلقٍ برسالةِ الإسلام، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً، مع إلمامٍ واسعٍ بالتراث.

ومن مؤلفاته المطبوعة: تعليقاتٌ على ديوانِ البهاء زهير، عنوانُ الفضلِ وترجمانُ لسانِ الأدبِ والنبل، منحةُ الوصول في مدحةِ الرسول ﷺ، القصيدة الأدهميةُ في الدينِ والوطنية، التذكيرُ بالمرجعِ والمصير، مرآة النساء فيما حسن منهن وساء، أحسن بيان في الكلام على ليلة النصف من شعبان، تحبيب المسلمين بكلام ربِّ العالمين، النفح الوردي شرح لامية ابن الوردي.

ومما تركه مخطوطاً: جامعةُ اللطائف في تالدِ الآداب والطرائف، الإسفارُ عن ماجرياتِ الأسفار، الجمعُ الوافي للقوافي، صرفُ اللسانِ إلى نحو بديعِ المعاني والبيان، مراسم العبودية لمراحم الربوبية، حثيث جيد العالمين إلى حديث سيد العالمين ﷺ، القول الحق في علم حديث خير الخلق ﷺ، ردُّ الكذب المقول على لسان حضرة الرسول ﷺ، تقريب الأذهان من فهم معاني القرآن، حسن المثابة إلى فضائل الصحابة، منبر الإجادة والإصابة في جامع الخطب والخطابة، خيرة الهمام الألمعي في سيرة الإمام الشافعي، الروض النضر في الكلام على الخضر، الشفقة الأبوية على العلقة النبوية [هكذا، ولعلها البنوية]، الصاحب بالجنب فيما رائده العين ومريده القلب، معين الأدب ومعين من كتب وشعرَ وخَطب، حياض الفوائد في رياض القواعد،

المثنوي في المشترك اللفظي والمعنوي، اللحظ الكليل في الحظ القليل، سلامة المآل في عقيدة الكمال، كمال الكلام في كلام الكمال، سخيمة الاندحار في جريمة الانتحار، جامعة الأعلام من كل من له ميزة أو مزيَّة بين الأنام، الجمع الوافي للقوافي، إبراز لطائف الألغاز، التنويه في محاسن المراجعة والتوجيه، ثمرات التجاريب في كلِّ قول مصيب، ميوه خوشك في العرب والترك، خرج الزمان فيما زان وشان، الابتيار والابتهار في سواد الليل وبياض النهار.

وقد توفي عام ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م. عليه رحمة الله[١].

أدعو الله تعالى أن ينفعَ بهذا الكتاب من جديد، ويكونَ زاداً للمتقين، وتذكيراً للمؤمنين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

محمد خير يوسف

١٣/ ١٢/ ١٤٣١هـ

(١) مصادر ترجمته: كتابه هذا، معجم البابطين لشعراء العربية، معجم المؤلفين لكحالة ١٩٠/١١، الأعلام للزركلي ٨٠/٧. ومؤلفاته المخطوطة معظمها من مقدمة محققة كتابه "مرآة النساء" الذي صدر في دمشق عام ١٤٢٠هـ، ولم تذكر مصدر ترجمته ولا سنة وفاته؟

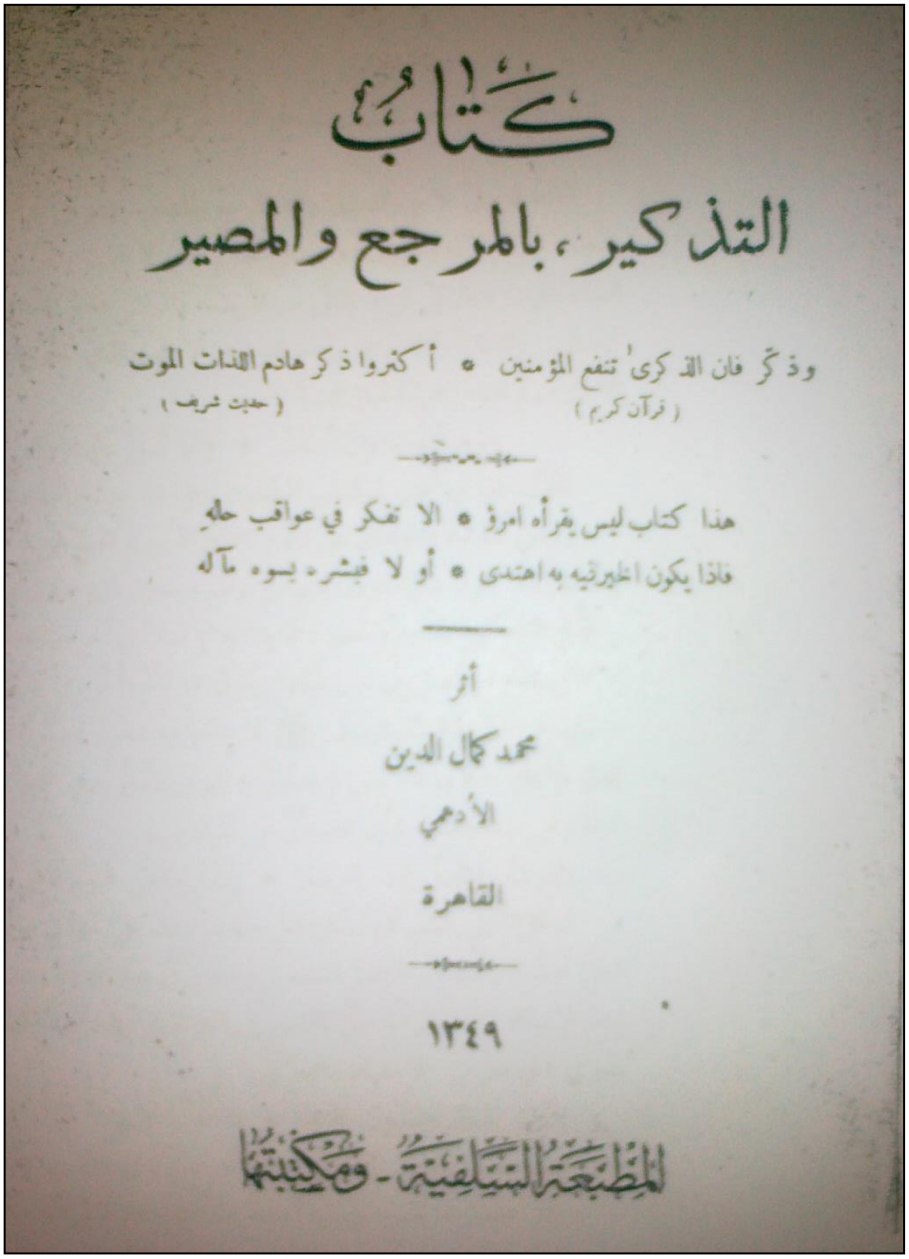

كتاب

التذكير بالمرجع والمصير

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ٭ أكثروا ذكر هادم اللذات الموت

(قرآن كريم) (حديث شريف)

هذا كتاب ليس يقرأه امرؤ ٭ الا تفكر في عواقب حاله

فاذا يكون الخير فيه اهتدى ٭ أو لا فبشره بسوء مآله

أثر

محمد كمال الدين

الأدهمي

القاهرة

١٣٤٩

المطبعة السلفية - ومكتبتها

غلاف الأصل المعتمد عليه في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وليِّ الأمرِ والتدبير، وإليه المرجِعُ والمصير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، سبحانهُ تفرَّدَ بالبقاء والثبوت، وهو الحيُّ الدائمُ الذي لا يموت، تعزَّزَ بالقدرةِ وقهرَ العبادَ بالموت، فالويلُ لمن لم يخشَ من الفَوت، والموتُ هادمُ اللَّذات، ومفرِّقُ الجماعات. والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمد خيرِ الأنام، الذي خُيِّرَ فاختارَ الرفيقَ الأعلى، ولم تفتنهُ زهرةُ الحياةِ الدنيا.

وزهرةُ الدنيا وإنْ أينعتْ فإنها تُسقَى بماءِ الزوال

المنزلِ عليه في آياتِ الكتاب المكنون: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}(١).

ورضيَ اللهُ تباركَ وتعالى عن آلهِ وأصحابهِ الذين لم تُلهِهِمْ عن ذكرِ الله تجارةٌ ولا مالٌ ولا بنون، {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(٢)، وبعد:

فهذه رسالةٌ في التذكيرِ بالمرجعِ والمصير، ممّا يلاقيهِ الإنسانُ في آخرِ حياته، إلى أن ينزلَ به نازلُ مماته، فيُحمَلُ إلى قبرهِ فيُقبَر، ويُسألُ عمّا قدَّمَ وأخَّر. وأكثرهُ من السمعيِّ المنقولِ عن حضرةِ السيِّدِ الرسول ﷺ لا مدخلَ فيه للعقول، بردٍّ أو قبول، وإنما يجبُ الإيمانُ به كما ورد(٣)، ومن لم يصدِّقْ به اليومَ يصدِّق به في الغد، وإن غداً لناظرهِ قريب، وعندهُ يتبيَّنُ المصدِّقُ من المستَريب.

والموتُ دائماً لنا بالمرصدِ إن لم يفاجي اليومَ فاجا في غدِ

لكلِّ أجلٍ كتاب، ولكلِّ عملٍ حساب، ولكلِّ سؤالٍ جواب، والخبرُ الجليُّ تحتَ التراب، وما يضرُّ التصديق، ولو تبيَّنَ بعدُ أنه غيرُ حقيق، بل ماذا ينفعُ الإنكار، إذا ظهرَ أنه حقٌّ كالشمسِ في رائعةِ النهار، وما أحسنَ قولَ أبي العلاءِ المعرّي، في معرضِ الاحتياطِ والتحرّي:

زعمَ المنجِّمُ والطبيبُ كلاهما لا تُحْشَرُ الأجسادُ قلتُ إليكما
إن صحَّ قولُكما فلستُ بخاسرٍ أو صحَّ قولي فالخسارُ عليكما

(١) سورة الزمر، الآية ٣٠.
(٢) سورة النحل، الآية ٥٠.
(٣) إذا صحّ.

وبالله أعتصمُ مما يَصِم، وعليه أعتمدُ فيما أعتقد، وحسبيَ الله وكفَى، وسلامٌ على عبادهِ الذين اصطفَى.

محمد كمال الدين الأدهمي

فصل في بيان مآخذ هذا الكتاب

مأخذُ هذا الكتابِ من الآياتِ الكريمةِ والأحاديثِ الشريفة، وأكثرُها معزوٌّ لرواتها.

ومن خُطَبِ ابن نُباتة الفارقي، المتوفى سنة ٣٧٤هـ.

ومن تفصيلِ النشأتينِ وتحصيلِ السعادتينِ للراغب الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ.

ومن إحياء علومِ الدين للإمام الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

ومن شرحِ العينيّ (المتوفى سنة ٨٥٥هـ) لصحيح الإمام البخاري.

ومن الدرَّةِ الفاخرةِ في كشفِ علومِ الآخرة للجلال السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ.

ومن مختصرِ التذكرةِ القرطبيةِ لعبدالوهاب الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣هـ.

ومن كتبِ الفقه، والأدب، والشعر، وغيرِ ذلك مما اطَّلعتُ عليه، وإنما لم أعزُ كلَّ قولٍ لقائله، لدخولِ قولهِ في قولِ غيرهِ وحتى كأنَّ الجميعَ قولٌ واحد، كما تقتضيهِ صناعةُ التأليف، أو لعدمِ علمي بالقائل، وذلك في الشعرِ الذي أوردته.

وليس لي فيه إلا حسنُ السبكِ والرصفِ والترتيب، وشيءٌ قليلٌ من الكلامِ اقتضاهُ السياق، وأبياتٌ من الشعرِ من ابتداءٍ وتخميس، وإليها الإشارةُ بقولي: قال الكمالُ أحسنَ الله تعالى إليه[1].

فصل في الموت وأحواله وما يلقاه المرء من أهواله

الموتُ أحدُ الأسبابِ الموصلةِ إلى النعيمِ الأبديّ أو العذابِ السرمديّ، ومادامَ الإنسانُ في الدنيا فهو كالفرخِ في البيضة، أو كالطيرِ في القفص.

وأرواحنا محبوسةٌ في جسومنا وغايةُ ما نلناهُ قيلٌ وقالوا

(١) وكان ينظم الشعر، وله دواوين وقصائد كثيرة، مطبوعة ومخطوطة.

ولولا الموتُ لما كملَ الإنسان، لأنه هو الحيوانُ الناطقُ الميّت، فما لم يمتْ لم يستوفِ تمامَ حدِّه. والموتُ –كما في الحديثِ الشريفِ– راحة[1].

وأبو العلاءِ المعريُّ المتوفى سنة ٤٤٩هـ يقول:

تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ ـجبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الـ ـجسمُ فيها والعيشُ مثلُ السُّهادِ

والله تعالى يقول: {وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[2].

وقال سيدنا عليُّ بن أبي طالب رضيَ الله تعالى عنه: "والله ما أبالي أأقعُ على الموتِ أو يقعُ الموتُ عليّ" لعلمهِ بأن له عندَ الله الحُسنى.

وقال بعضُ السلف: ما من مؤمنٍ إلا والموتُ خيرٌ له من الحياة، لأنه إن كان محسناً فالله تعالى يقول: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[3] ويقول أيضاً: {وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ}[4]، وإن كان مسيئاً فالله تعالى يقول: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}[5] ، والصالحُ إذا ماتَ استراح، والطالحُ إذا ماتَ استُريحَ منه.

وقال بعضُ الشعراء:

جزى الله عنا الموتَ خيراً فإنه أبرُّ بنا من كلِّ برٍّ وأرأفُ
يُعجِّلُ تخليصَ النفوسِ من الأذَى ويُدني من الدارِ التي هي أشرفُ[6]

(١) الموت راحة للصالحين، أما لغيرهم فعذاب ونكد.
ورد في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرّ". صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء (٢٧٢٠).
وحديث موت الفجأة "راحةٌ للمؤمنِ وأخذةُ أسفٍ للفاجر". سنده واه في مسند أحمد (٢٥٠٨٦) كما خرَّجه الشيخ شعيب أرناؤوط.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٧.
(٣) سورة القصص، الآية ٦٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٦٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.
(٦) مما ينسب لعلي رضي الله عنه؟

وبالموتِ تتخلَّصُ الروحُ من قفصِ الجسم، وتسرحُ في عالمِ الملَكوتِ على قدرِ قوَّتها في عملِ الخيرِ في الحياةِ الدنيا، وترتاحُ بعد التعبِ الذي كانت تقاسيهِ وهي في قفصِ الجسم.

وبالموتِ ينكشفُ للإنسانِ ما كان مستوراً عنه، كما ينكشفُ للمستيقظِ ما خفيَ عنه في نومه، ولذلك قال سيّدنا عليٌّ رضيَ الله تعالى عنه: "الناسُ قيام، فإذا ماتوا انتبهوا".

وقال بعضُ الصوفية: موتوا قبل أن تموتوا، أي: انتبهوا لتداركِ أمركم قبل أن تنتبهوا ولا تستطيعوا لأنفسكم نفعاً ولا ضراً {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}(١).

وأولُ ما ينكشفُ للإنسانِ بالموتِ ما يضرُّهُ وينفعهُ من حسناتهِ وسيّئاته، وقد كانَ ذلك مسطوراً في كتابه، مطوياً في سرِّ قلبه، وإنما كان يشغلهُ عن الاطِّلاع عليه شواغلُ الدنيا، وبالموتِ تنقطعُ تلك الشواغل، فيكشفُ له عن جميعِ أعماله، فلا ينظرُ إلى سيّئةٍ إلا تحسَّرَ عليها، ولا إلى حسنةٍ إلا تمنَّى لو ازدادَ منها.

وإنما يكونُ ذلك الانكشافُ عند انقطاعِ النفسِ وقبلَ الدفن، والعقلُ لا يتغيَّرُ بالموت، لأنه قوةٌ معنوية، وإنما يتغيَّرُ البدن، فيكونُ الميّتُ عاقلاً مدركاً للآلامِ واللذات، ولو تناثرتْ أعضاؤهُ كلُّها، وما من ميّتٍ إلا وهو يعلمُ ما يكونُ في أهلهِ بعده، وإنهم ليغسلونهُ ويكفنونهُ وهو ينظرُ إليهم، ويعرفُ من يغسلهُ ويحملهُ ويتبعهُ ويُدليهِ في قبره(٢)، ويسمعُ كلامَ من يتكلَّمُ بخير وشرّ، ولكنْ لا يؤذَنُ له بالكلام، لأنه خُتِمتْ صحيفةُ أعماله، فلا يُزادُ عليها ولا يُنقَصُ منها.

ومع هذا فإن للموتِ أهوالاً وسكرات، وقد جعلهُ الله مصيبةً حيثُ أضافها إليه، فقال تعالى: {إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ}(٣) ولم يُضفها إلى شيءٍ غيره، دلالةً على عظمِ المصيبةِ به.

وقالَ تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}(٤).

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٦.

(٢) في مسند أحمد حديث: "إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره". وضعَّف الشيخ شعيب إسناده. وكذا ضعفه في ضعيف الجامع (١٧٩٤).

(٣) سورة المائدة، الآية ١٠٦.

(٤) سورة ق، الآية ١٩.

وقال رسول الله ﷺ وهو يجودُ بنفسهِ في حالةِ الاحتضار: **"إن للموتِ لسكرات"**[١].

فلهذا وردَ النهيُ عن تمنّيه، أو التصدّي إليه بالانتحار، مهما نزلَ به من الضرّ، في أحاديثَ كثيرة، منها حديث: **"لو يعلمُ المؤمنُ ما يأتيهِ بعد الموتِ، ما أكلَ أكلةً ولا شربَ شربةً إلاّ وهو يبكي ويضربُ على صدره"**. رواه الطبراني عن أبي هريرة[٢].

وحديث: **"والله يا أمةَ محمدٍ لو تعلمونَ ما أعلم، لضحِكتمْ قليلاً ولبكَيتم كثيراً"**. رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس[٣].

وحديث: **"لو تعلمُ البهائمُ من الموتِ ما يعلمُ بنو آدم، ما أكلتمْ منها سميناً"**. رواه البيهقي عن أمّ صبية[٤].

وحديث: **"معالجةُ مَلَكِ الموتِ أشدُّ من ألفِ ضربةٍ بالسيف، وما من ميتٍ يموتُ إلا وكلُّ عِرْقٍ منه يألمُ على حِدَة، وأقربُ ما يكونُ عدوُّ الله منهُ** (أي الشيطان) **في تلكَ الساعة"**. رواه أبو نعيم عن عطاء بن يسار[٥].

وحديث: **"الموتُ أصعبُ ممّا قبله، وأهونُ ممّا بعده"**[٦].

وحديث: **" لا تتمنَّوا الموت، فإن هولُ المُطَّلعِ شديد"**. رواه ابن ماجه عن خبّاب[٧].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥١٠)، وفيه بدون لام الزحلقة، وبه في المعجم الكبير للطبراني (٧٨).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (٣٥٩) وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٤٨٦١).

(٣) صحيح البخاري، تفسير سورة المائدة (٤٦٢١)، صحيح مسلم (٤٢٦)، سنن الترمذي (٢٣١٢) وقال: حديث حسن غريب، سنن النسائي (١٣٦٣)، سنن ابن ماجه (٤١٩١)، مسند أحمد (١٢٠١٦). وصححه في صحيح الجامع الصغير (٥٢٦٣). وهو جزء من حديث، تكون عبارته "والله لو تعلمون..." ويأتي في مواضع "يا أمة محمد والله لو تعلمون...".

(٤) وهو حديث ضعيف جداً، كما في ضعيف الجامع الصغير (٤٨١٣) وورد اسم راويته في الأصل (أم حبيبة)، والصحيح ما أثبت، وهي كنية خولة بنت قيس.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨/ ٢٠١، وبسنده في مسند الحارث (٢٥٦)، وأورده في "اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" شاهداً لحديث، وعطاء تابعي، فحديثه مرسل.

(٦) لم أره حديثاً، ولعله ينسب إلى بعض الصحابة.

(٧) رواية ابن ماجه عند خباب تقف عند قوله "لا تتمنوا الموت" (سننه ٤١٦٣)، وقد صححه له في صحيح الجامع (٧٢٢١). وبطوله رواه أحمد في مسنده (١٤٦٠٤) عن جابر، وذكر الشيخ شعيب في تخريجه أنه حسن لغيره.

وحديث: "**لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لضُرٍّ نزلَ به، فإنْ كان لا بدَّ متمنّياً فليقل: اللهمَّ أحيني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي**". رواه مسلم عن أنس بن مالك[١].

وحديث: "**لا يتمنَّ أحدكم الموتَ، ولا يَدْعُ به من قبلِ أن يأتيَهُ، إنه إذا ماتَ أحدُكم انقطعَ عمله، وإنه لا يزيدُ المؤمنَ عمرَهُ إلا خيراً**". رواه مسلم عن أنس بن مالك[٢].

وحديث: "**لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ، إما محسناً فلعلَّهُ يزداد، وإما مُسيئاً فلعلَّهُ يستَعْتِب**". رواهُ البخاري وأحمد بن حنبل والنسائي عن أبي هريرة[٣].

ومع ما نقلتهُ عن شدَّةِ غمراتِ الموتِ وسكراته، فقد يكونُ على بعضِ من أرادَ الله له التخفيفُ كلسعِ النحلة، كما وردَ في الحديث، بصرفِ النظرِ عن أعمالهِ الصالحةِ أو السيئة، بعد أن يكونَ مسلماً، فليستْ شدَّةُ النزعِ لسوءِ العمل، ولا خفَّتهُ لحَسَنه، فهذا الرسولُ الأعظمُ كان يجودُ بنفسهِ بأشدِّ ما يكون، ويقول: "**إن للموتِ لسكرات**". وفي هذا التركيبِ من البلاغةِ ما هو معلومٌ لأهلها، وهو المغفورُ له ما تقدَّمَ من ذنبهِ وما تأخَّر. نسألُ الله اللطفَ في كلِّ الأمور.

كراهية الموت

وردَ في الحديث الشريف: "**مَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه، ومَن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءَه**". رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة وعبادة بن الصامت[٤].

ومعناه: أن الله يعاملهُ بحسبِ حبِّهِ وكراهيته، وإنما يَكرهُ الموتَ مَن لا يؤمنُ بالله واليومِ الآخر، لاعتقادهِ أنْ لا نعيمَ إلا ما هو فيه في حياتهِ الدنيا، ولو لم يكنْ شيئاً يعتدُّ به، أو مَن كان مسرفاً على نفسهِ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء (٢٦٨٠). والحديث متفق عليه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء (٢٦٨٢) وورد في الأصل "لا يتمنين" وتصحيحه من مصدره.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التمني (٧٢٣٥).

ومعنى يستعتب: يسترضي الله بالإقلاع والاستغفار. والاستعتاب: طلب الإعتاب، أي: يطلب إزالة العتاب. قاله في فتح الباري ١٥/ ١٣٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٠٨)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء (٢٦٨٣)، كلاهما عن عبادة بن الصامت، صحيح مسلم (٢٦٨٤) من حديث عائشة.

بارتكابِ المنكرات، فهو يخافُ الموتَ ويكرهُهُ لعلمِهِ بأنه مسؤولٌ عمّا فعله من كثيرٍ وقليل، وهذا أمرهُ سهل، فإنه بالإقلاعِ عن الذنوبِ ينقلبُ المكروهُ عنده محبوباً، لعلمه بِثوابِ المقلعينَ عن الذنوب، التائبينَ إلى علّام الغيوب.

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ[١]:

نحنُ بنو الموتِ فما بالنا نَعافُ ما لا بدَّ من شُربِهِ
تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هي من كسبِهِ
فهذهِ الأرواحُ من جوّهِ وهذه الأجسامُ من تُربِهِ
يموتُ راعي الضأنِ في جهلهِ موتةَ جالينوسَ في طبِّهِ[٢]

جريمة الانتحار

الانتحار –أي قتلُ المرءِ نفسَهُ عمداً– من كبائرِ الذنوبِ التي نَهَى اللهُ تعالى عنها، وتوعَّدَ مرتكبها بالعذابِ يومَ القيامة، ولا يصدرُ إلا من مختلِّ الشعور، أو من جاهلٍ بأمرِ دينه، والجهلُ ليس بعذر، فيحسبُ أنه إذا انتحرَ استراحَ مما هو فيه من ضرٍّ نزلَ به، أو من ملحدٍ لا يؤمنُ بالله تعالى ولا باليومِ الآخر. قال اللهُ تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[٣].

وقال رسولُ الله ﷺ: **"مَن قتلَ نفسهُ بشيءٍ عُذِّبَ به يومَ القيامة"**. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن ثابت بن الضحّاك[٤].

وقال في حديثٍ آخر: **"من تردَّى من جبلٍ فقتلَ نفسه، فهو في نارِ جهنَّمَ يتردَّى فيها خالداً مخلَّداً**

(١) في الأصل: وقال أبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩هـ، وقد أشار إلى تصحيحه بما أثبتناه في ص ٥٥ من كتابه هذا في طبعته الأولى.
(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ٥١٢.
(٣) سورة النساء، الآيتان ٢٩-٣٠.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور (٦٦٥٢)، صحيح مسلم (١١٠) واللفظ له، سنن أبي داود (٣٢٥٧)، سنن النسائي (٣٧٧١).

فيها أبداً، ومن تحسَّى سُمًّا فقتلَ نفسه، فسُمُّهُ في يدهِ يتحسّاهُ في نارِ جهنَّمَ خالداً مخلَّداً فيها أبداً، ومَن قتلَ نفسَهُ بحديدة، فحديدتهُ في يدهِ يتوجَّأُ بها في نارِ جهنَّمَ خالداً مخلَّداً فيها أبداً". رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة[1].

وقال في حديثٍ آخر: **"الذي يخنقُ نفسَهُ يخنقُها في النار، والذي يطعُنُ نفسَهُ يطعُنُها في النار، والذي يقتحمُ يقتحمُ في النار"**. رواه البخاري عن أبي هريرة[2].

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبدالله قال: **"كانَ برجلٍ جراح، فقتلَ نفسه، فقال الله تعالى: بدرني عبدي بنفسهِ حرَّمتُ عليه الجنة"**. وهذا الحديثُ وإن كان موقوفاً على جندب، وهو من الصحابة، فهو في حكمِ المرفوع، لعدمِ إمكانِ أن يعرفُ جندبٌ قولَ الله من نفسهِ. لأنه ليس بنبيٍّ يوحَى إليه.

حكم قاتل نفسه

وحكمُ قاتلِ نفسهِ الغسلُ والتكفينُ والصلاةُ عليه كمن يموتُ حتفَ أنفه، بلا خلافٍ بين أئمة المذاهبِ الأربعة، وقال أبو يوسف: لا يُصلَّى عليه، لأنه ظالمٌ لنفسه، فيُلحَقُ بالباغي وقاطعِ الطريق، ورجَّحَ هذا القولَ الكمالُ بن الهمام، المتوفى سنة ٨٦٨هـ، لما في صحيح مسلم، أنه عليه الصلاةُ والسلامُ أُتيَ برجلٍ قتل نفسهُ ليصلِّيَ علي، فلم يصلِّ عليه[3].

وقال عمر بن عبدالعزيز، والإمامُ عبدالرحمن الأوزاعي: تُكرَهُ الصلاةُ عليه.

ولكنَّ الفتوى على أنه يُغسَلُ ويُكفَنُ ويصلَّى عليه، ويُدفَنُ في مقابرِ المسلمين، وإن كان أعظمَ وزراً من قاتل غيره، وإثمُ قتلهِ نفسَهُ لا يُخرجهُ عن الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب (٥٧٧٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٠٩)، سنن الترمذي (٢٠٤٤) (وفيه لفظ يتوجأ)، سنن النسائي (١٩٦٥)، سنن أبي داود (٣٨٧٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز (١٣٦٥) ولفظه: "الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار". ولعله نقله من لفظ أحمد في مسنده (٩٦١٦) ولكن ليس فيه "يقتحم"، بل هو جملة في مسند الشاميين (٣٣١١) وحديث أحمد صحيح، قاله الشيخ شعيب.

(٣) قتل نفسه بمشاقص. صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٩٧٨).

ولا يُباحُ لأحدٍ بحالٍ من الأحوالِ أن يقتلَ نفسَهُ ليستريحَ من الغمّ والهمّ اللذينِ ناباهُ منهما، اشتدَّ الأمرُ عليه، على أن قتلهُ نفسَهُ لا يُريحهُ من غمّه، ولا يخلّصهُ من شدَّته، بل يلقى ما هو أشدُّ منه، وإن كان ولا بدَّ من قتلهِ نفسهُ فليجاهدْ في سبيلِ الله، فإنه إمّا أن يَغلِبَ فيَغنمَ ويَسلمَ وتُفرَجَ كربته، وإمّا أن يُغلبَ فيُقتَلَ فيذهبَ إلى ربّه شهيداً في الدنيا، سعيداً في الآخرة، وأمّا قتلهُ نفسَهُ كما كثرَ في هذه الأيام، فهو كما قلنا آنفاً، إمّا من اختلالِ الشعور، وإمّا من الجهلِ في الدين، وإمّا من الإلحادِ والكفر بالله تعالى واليومِ الآخر، نسألُ الله تعالى السلامةَ من موجباتِ الخزي والندامةِ في هذه الحياةِ وفي يومِ القيامة.

تكريم المنتحرين

ومن المحزنِ المبكي في الدين، أن يَقتلَ شخصٌ نفسه، فيُحتفلَ بانتحاره، وتُعقدَ له المحافلُ لتكريمِهِ وتعظيمه، من أجلِ أنه قتلَ نفسَهُ لسببٍ دنيويٍّ لا يُحمَدُ على إصابتهِ أو خطئهِ فيه شرعاً، فيجرؤ الناس على الانتحارِ لأدنَى عارضٍ يعرضُ لهم يخالفُ شهوتهم وإرادتهم، ويحسبونَهُ هيّناً وهو عند الله عظيم، ويكونونَ عوناً لقاتلِ نفسهِ على قتله، وقد وردَ في الحديثِ الشريف: **"من أعانَ على قتلِ مؤمنٍ بشطرِ كلمةٍ لقيَ الله تعالى مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمةِ الله"**. رواه ابنُ ماجه عن أبي هريرة[1].

ومعنى شطرِ كلمة: "اقْ" من "اقتلْ". فهؤلاءِ المحتفلونَ المكرِمونَ لقاتلِ نفسه، والمشاركون لهم بحضورهم وسماعهم، مشتركونَ في جريمةِ القتلِ والانتحار، من غيرِ أن ينقصَ من عذابِ المنتحرِ شيء، فليعلموا ذلك، فإنه لا عذرَ لأحدٍ في الجهلِ بالدين، {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}[2].

جناياتٌ فذلٌّ فانتحارُ كذا بدءُ الفضيحةِ وانتِهاها

(١) سنن ابن ماجه (٢٦٢٠) وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٥٤٤٦)، وفي الأول "مكتوب"، وفي الآخر "مكتوباً".
(٢) سورة الطور، الآية ٢١.

فصل في الخوف والرجاء

ينبغي للإنسان أن يكونَ شديدَ الخوفِ من الله جلَّ وعلا، عظيمَ الرجاءِ به، وليكنْ خوفهُ في شبابهِ أكثرَ منه في مشيبه، ورجاؤهُ في مشيبهِ أقوى منه في شبابه، وأنْ لا يغترَّ بصالحِ عملهِ مهما كان. جاء في الحديث الشريف: **"أنا أعلمكم بالله، وأشدُّكم خوفاً منه"**[1].

وجاء في حديثٍ آخر: **"لو يعلمُ المؤمنُ ما عندَ الله من العقوبة، ما طَمِعَ بجنَّتهِ أحد، ولو يعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرحمة، ما قَنِطَ من رحمتهِ أحد"**. رواه الترمذي عن أبي هريرة[2].

وجاءَ في حديثٍ آخر: **"إني أرى ما لا ترون، وأسمعُ ما لا تسمعون، أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تئطّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَهُ ساجدًا لله، والله لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحِكتم قليلاً ولبكَيتم كثيراً، ولَما تلذَّذتم بالنساءِ على الفُرش، ولخرجتمْ إلى الصُّعُداتِ تجأرون إلى الله تعالى، ولوددتُ أني شجرةٌ تُعْضَد"**. أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر[3].

وجاء في حديثٍ آخر، أن رسول الله ﷺ دخلَ على شابٍّ وهو في حالةِ الموت، فقال: **"كيفَ تجدك"**؟ فقال: أرجو الله تعالى يا رسولَ الله، وأخافُ ذنوبي. فقالَ ﷺ: **"لا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ إلا أعطاهُ الله ما يرجو، وآمنَهُ ممّا يخاف"**. أخرجهُ الترمذي من حديثِ أبي ذر[4].

وعن أبي الدرداء، عن نبيّ الله ﷺ عن جبريلَ عليه السلامُ قال: **"قال ربُّكم عزَّ وجلَّ: عبدي، ما عبدتَني ورجوتَني ولم تُشركْ بي شيئاً، غفرتُ لكَ على ما كان منك، ولو استقبلتَني بملءِ الأرضِ خَطايا**

---

(١) أورده الإمام البخاري بلفظ: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا". صحيحه، كتاب الإيمان (٢٠) من حديث عائشة. وهو عند أحمد عن رجل من الأنصار: "أنا أتقاكم لله، وأعلمكم بحدود الله". مسند أحمد (٢٣٧٣٢) وصححه في صحيح الجامع الصغير (١٤٤٨).

(٢) هذا لفظ صحيح مسلم، كتاب التوبة (٢٧٥٥)، وهو في سنن الترمذي (٣٥٤٢) مع اختلاف ألفاظ قليلة، وصححه له في صحيح الجامع الصغير (٥٣٣٨).

(٣) سنن الترمذي (٢٣١٢) وقال: حديث حسن غريب، وحسَّنه له ولغيره في صحيح الجامع الصغير (٢٤٤٩). وكان به نقص فأتممته من الأصل.
والصعدات: الطرق. وتجأرون: ترفعون أصواتكم. وتعضد: تقطع.

(٤) سنن الترمذي (٩٨٣) وقال: حديث حسن غريب. وحسَّنه الألباني. وهو من حديث أنس وليس أبي ذر، وكان أوله في الأصل "ما اجتمعا" فصححته كما جاء في مصدره وغيره.

وذنوباً، استقبلتُكَ بمثلها مغفرةً، فأغفرُ لكَ ولا أبالي"[1].

وينبغي للعبدِ أن يكونَ نصبَ عينيه وموضعَ ذكرِهِ في قلبهِ قولهُ تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}[2]، وقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[3]، وأن يُكثرَ من ذكرِ الموت، فقد جاءَ في الحديثِ الشريف: **"كفَى بالموتِ واعظاً"**[4]، **"أكثروا ذكرَ الموت، فإنه يمحّصُ الذنوب، ويزهّدُ في الدنيا"**[5].

ومن أكثرَ من ذكرِ الموت، أُكرِمَ بتعجيلِ التوبة، وقناعةِ النفس، والنشاطِ في العبادة، ومن نسيَ الموت، عُوقِبَ بتسويفِ التوبة، والشرَهِ على الدنيا، والتكاسلِ عن الطاعات، وليعلمْ أنه:

لو لم يكنْ نارٌ ولا جنةٌ للمرءِ إلا أنه يقبرُ
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ لكلِّ من يسمعُ أو يُبصرُ[6]

ولْيخشَ من سوءِ الخاتمة، فإن قلوبَ الخلائقِ بين أصبعين من أصابعِ الرحمن، يقلّبها كيف شاء، جاءَ في الحديثِ الشريفِ عن رسول الله ﷺ: **"والله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعملُ بعملِ أهل الجنة، حتى ما يكونُ بينهُ وبينها إلا ذراع، فيسبقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلها، وإن أحدكم ليعملُ بعملِ أهل النار، حتى ما يكونُ بينهُ وبينها إلا ذراع، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهل الجنةِ فيدخلها"**. رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود[7].

---

(١) حديث أبي الدرداء هذا رواه ابن عدي في "الكامل في الضعفاء" ٥/ ٢٢١ وفي سنده العلاء بن زيد، ويقال له ابن زيدل، وذكر أنه منكر الحديث. وأورده المؤلف باختلاف ألفاظ. وهو صحيح من حديث أبي ذر (باختصار) رواه أحمد في مسنده (٢١٤٠٦). قال الشيخ شعيب: صحيح مرفوعاً.

(٢) سورة الحجر، الآيتان ٤٩-٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٧.

(٤) رواه الطبراني من حديث عمار، وهو ضعيف جداً. ضعيف الجامع الصغير (٤١٨٥). وذكر الحافظ العراقي أنه معروف من قول الفضيل بن عياض. ينظر هامش إحياء علوم الدين ٤/ ٩٦.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الموت" بإسناد ضعيف جداً. قاله الحافظ العراقي في المغني عن الأسفار، هامش الإحياء = = ٤/ ٦٥٦.

(٦) هو للزبيدي النحوي أبي بكر محمد بن الحسن، كما في يتيمة الدهر ٢/ ٨١. وفيه "ناه لمن" بدل لكل من".

(٧) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٥٤)، صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٤٣)، واللفظ لمسلم، إلا أن أول الحديث في الأول "إن خلق أحدكم ليُجمع"، والآخر: "إن أحدكم يُجمع خلقه" وجزء الحديث الذي أورده المؤلف أوله عند البخاري: "فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة"، وعند مسلم: "فوالذي لا إله غيره إن أحدكم".

فينبغي لكلِّ عبدٍ أن يسألَ الله تعالى حسنَ الخاتمة، ويستعيذَ بالله من سوئها، ومن شرِّ العاقبة.

ولا فائدة لعملٍ إلا بالإخلاصِ من العامل، والقبولِ من الله تعالى، فمن آمنَ وأخلصَ العمل، فالمرجوُّ من كرمِ الله تعالى قبولُ عمله، وحفظُ إيمانهِ عليه.

وإنما يكونُ سوءُ الخاتمةِ في حقِّ من أساءَ العمل، أو خلطهُ بالرياءِ والنفاق، أو ظلمَ نفسَهُ وأهلَهُ بأكلِ الحرام، والبغي على الخَلقْ وظلمهم، ولم يقدِّر نعمةَ الإيمان، ولم يشكرْ عليها، فقد سُئلَ الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه عن أخوفِ ما يُخافُ من سوءِ الخاتمةِ فقال: إن أخوفَ ما يُخافُ ويُخشَى منه سلبُ الإيمان: تركُ الشكرِ على الإيمان، وعدمُ خوفِ الخاتمة، وظلمُ العباد، فإن من كان في قلبهِ هذه الثلاث، فالأغلبُ عليه أنه يخرجُ من الدنيا على غيرِ الإيمان. قال الكمالُ[1] أحسنَ الله تعالى إليه:

ويطمعني بعفوِ الله أني ... عفيفُ الطعمِ فيما قد علمتُ
وأني شاكرٌ للهِ دوماً ... وراضٍ عنه حقاً كيف كنتُ
وذكرُ الموتِ لا أنساهُ أصلاً ... عليه قمتُ بلْ وعليهِ نمتُ
وما آذيتُ خلقَ الله قطعاً ... ولكن كم ظُلِمتُ فما انتقمتُ
أظنُّ الموتَ ليس عليَّ صعباً ... لأني بالذي يقضيهِ قمتُ

وقال أحسنَ الله تعالى إليه في الخوفِ والرجاء:

سوايَ برنَّاتِ المعازفِ يطربُ ... ويملكُ سمعيهِ الغناءُ المرتَّبُ
وغيري يقضي بالملذاتِ عمره ... فيأكلُ مما يشتهيهِ ويشربُ
ويسرحُ في وادي الخلاعةِ هائماً ... وقد شاقهُ في الغيدِ زيدٌ وزينبُ
ولكنَّ مثلي لا يميلُ إلى هوَى ... دعاهُ عذارٍ أو بنانٌ مخضَّبُ
ولا زخرفُ الدنيا غدا يستميلني ... ولا أنا ممن بالسفاسفِ يرغبُ
وما ذاكَ من نقصِ الشعورِ وإنما ... رأيتُ جلالَ الله من ذاكَ يغضبُ
نما خوفُ ربي بينَ كلِّ جوانحي ... فلا عضوَ إلا وهو بالرعبِ يضربُ
نفى النومَ عن عيني كثيرُ تفكُّري ... بما أنا لاقيهِ إذا أنا أُطلَبُ
وأحرقَ قلبي خوفُ نارِ جهنم ... بها كلُّ عاصٍ بالعذابِ يُقلَّبُ
وخفَّف من رُوعي رجائي جنةً ... بها للمطيعينَ الثوابُ المحبَّبُ
ومهما يكنْ ظني جميلاً بخالقي ... فما أنا إلا خائفٌ أترقَّبُ

(١) يعني نفسه.

عجبتُ لمن يدري بأنْ ليس مهربٌ من الموتِ أصلاً كيفَ يلهو ويلعبُ
ويفعلُ أفعالاً قباحاً شنيعةً وفي كلِّ يومٍ موتهُ يتقرَّبُ
وكيفَ يلذُّ العيشُ من هو ميتٌ وعامرهُ من بعد ما ماتَ يخربُ
ولو لم يكن نارٌ ولا جنةٌ غداً سوى القبرِ كان القبرُ والله يُرهَبُ
وفي القبرِ ما في القبر لو كان عالماً بأحوالهِ الإنسانُ ما كانَ يُذنبُ
ولكنهُ لم يدرِ ما هو صائرٌ إليه سوى أن قيلَ ماتَ فيُندَبُ
وجودٌ بتقويمٍ وأجملِ صورةٍ غدا بين أطباقِ الترابِ يغيَّبُ
وذلك ما ندري ومبلغُ علمنا وغفلتنا عمّا سنلقاهُ أعجبُ
كأني إذا شيَّعتُ يوماً جنازةً أنا الميتُ بي ذا الناسُ للقبرِ تذهبُ
وهونتِ الدنيا على بلائها فها أنا لا أشكو ولا أتعتبُ
وكلُّ امرئٍ بالله والرسلِ مؤمنٌ يهونُ عليه اليومَ ما هو يصعبُ
سلامٌ على روحي وجسمي ورحمةٌ من الله في موتي ومحيايَ تُسكبُ
فقد زادَ شوقي للجنانِ وعيشِها وإن لم أكنْ أهلاً لما أتطلَّبُ
ولكنَّ إيماناً قوياً غرستهُ بقلبي إلى ربي به أتقرَّبُ
إذا نفحتني من رضا الله نفحةٌ فأبعدُ ما أرجوهُ أدنى وأقربُ

التزود للآخرة

قال الله تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[1].

وجاء في الحديث الشريف: **"إذا ماتَ ابنُ آدم، انقطعَ عملهُ إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتَفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له بخير"**. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة[2].

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الوصية (١٦٣١)، سنن أبي داود (٢٨٨٠)، سنن الترمذي (١٣٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، سنن النسائي (٣٦٥١)، وهو عند البخاري في الأدب المفرد (٣٨) وصححه في صحيح الجامع الصغير (٧٩٣) ولفظه أقرب إلى الأخير.

فينبغي للعبدِ أن يأخذَ من دنياهُ لآخرته، فإن ما جمعهُ سيتخلَّى عنه، ولا ينفعهُ منه إلا ما ادَّخرهُ لآخرتهِ من عملٍ صالح يبقى بعدهُ في الدنيا، فيكونُ أجرهُ وثوابهُ له، ومنفعتهُ الماديةُ لمن خصَّهُ به.

ويشترطُ في حصولِ الأجرِ والثوابِ فيما يقدِّمهُ لآخرتهِ وما بعد موته، أن يكونَ من الحلالِ الطيّب، فإن الله طيّبٌ لا يقبلُ إلا الطيّب، فقد جاءَ في الحديثِ الشريف: **"من اكتسبَ مالاً من حرام، فتصدَّقَ به، أو وصلَ به رَحِماً، أو أنفقهُ في سبيل الله، جُمِعَ ذلك كلُّه وقُذِفَ به في نارِ جهنَّم"**(١).

فمساكينٌ جهلاءٌ أولئك الذين يجمعونَ المالَ من غيرِ حلِّه، لا سيَّما ما كان منه غصباً من أهله، حتى إذا قربَ أجلهم أن ينفَد، قاموا يعملونَ ببعضهِ أعمالاً خيريةً بحسبِ الظاهر، وإنما قصدهم أن يُقال: فلانٌ عمل، وفلانٌ محسنٌ كبير، ولا حظَّ له من ذلك العمل، ولا ثوابَ له فيه في الآخرة، وإن استفادَ وانتفعَ به من عملَ لأجله، وعلى ذلك الفاعلِ أو المحسنِ الكبيرِ بزعمهِ أو زعمِ من نافقَ له تبعتهُ وحسابه، ففي الحديثِ الشريف: **"لا تزولُ قدما عبدٍ حتى يُسألَ عن أربع: عن شبابهِ فيمَ أبلاه، وعن عمرهِ فيمَ أفناه، وعن مالهِ من أين اكتسبَهُ وفيمَ أنفقه، وعن علمهِ ماذا عملَ فيه"**(٢).

وفي حديثٍ آخر: **"ما من أحدٍ يموتُ إلا ندم، إن كان محسناً نَدِمَ أن لا يكونَ ازداد، وإنْ كانَ مُسيئاً نَدِمَ أن لا يكونَ نَزَعَ"**. رواه الترمذي عن أبي هريرة(٣).

عظة الموت والحياة

قال الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}(٤).

---

(١) رواه أحمد عن ابن مسعود بسند ضعيف. قاله الحافظ العراقي في هامش إحياء علوم الدين ٢/ ١٣٦.

(٢) رواه الطبراني عن معاذ في المعجم الكبير (١١١) وقال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير صامت بن معاذ وعدي بن عدي الكندي وهما ثقتان. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦. وفيه تقديم وتأخير، أعني تقديم الجملة الأولى على الثانية، وأوله في المعجم: "لن تزول قدما عبد".

(٣) سنن الترمذي (٢٤٠٣). وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٥١٤٦).

(٤) الآيتان الأولى والثانية من سورة الملك.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: **"كفى بالدهرِ واعظاً وبالموتِ مفرّقاً"**. رواه ابن السني عن أنس[1].

وقال أيضاً: **"كفى بالموتِ مزهّداً في الدنيا، ومرغّباً في الآخرة"**. رواهُ ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، عن الربيع بن أنس مرسلاً[2].

وقال سيّدنا علي بن أبي طالب رضيَ الله تعالى عنه في بعضِ خطبه: "إن الدهرَ يجري بالباقينَ كجريهِ بالماضين، لا يعودُ ما ولَّى منه ولا يبقَى من فيه. وإن الله تعالى قد أوضحَ السبيل، فإما شقوةٌ لازمة، وإما سعادةٌ دائمة، فمن شغلَ نفسهُ بغيرِ نفسهِ تحيَّرَ في الظلمات، وارتبكَ في الهلَكات. والناسُ في هذه الدنيا أغراض، تنتضلُ فيها المنايا، مع كلِّ جرعةٍ شَرِق[3]، وفي كلِّ أكلةٍ غُصَص، لا ينالونَ منها نعمةً إلا بفراقِ أخرى، ولا يعمَّرُ منهم معمَّرٌ يوماً من عمرهِ إلا بهدمِ يومٍ آخرَ من أجَله، ولا تجدَّدُ له زيادةٌ في أكلةٍ إلا بنفادِ ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثرٌ إلا ماتَ له أثر، ولا تقومُ له نابتةٌ إلا وتسقطُ منه محصودة. فاتَّقوا سكراتِ النعمة، واحذروا بوائقَ النقمة، ولا تُدخلوا بطونكم لعقَ الحرام، فإنكم بعينٍ من حرَّمَ عليكم، وإن عليكم رَصَداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفَّاظاً صُدُقاً يحفظونَ أعمالكم وعددَ أنفاسِكم، {كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[4] لا تستركم منهم ظلمةُ ليلٍ داج، ولا يكنُّكم منهم بابٌ ذو رَتاج[5]، وإن اليومَ عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل، وإنكم في أيامِ أملٍ من ورائهِ أجل، فمن عملَ في أيامِ أملهِ قبلَ حضورِ أجلهِ نفعهُ عملهُ ولم يضرَّهُ أجله، ومن قصرَ في أيامِ أملهِ قبل حضورِ أجلهِ فقد خسرَ عمله وضرَّهُ أجله، وقد أُمرتم بالظعن، ودُللتم على الزاد، فقال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[6] وإن لكلٍّ من الدنيا والآخرةِ بنين، فكونوا من أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فإن كلَّ ولدٍ سيلحقُ بأمِّهِ يومَ القيامة، وإن اليومَ المضمارُ وغداً السباق، والسبقةُ الجنة، والغاية النار" ا. هـ باختصار.

لا طالبَ أغنمَ من الموت، ولا ندمَ بعد الفوت[7].

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني (٥٦٠)، وضعفه له في ضعيف الجامع الصغير (٤١٧١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٣٢٩)، وضعفه له ولأحمد في الزهد في ضعيف الجامع الصغير (٤١٨٤).

(٣) والشرقة: الغصَّة.

(٤) سورة الانفطار، الآيتان ١١-١٢.

(٥) رتاج: إغلاق.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٧) لعله يعني: لا ينفع الندم بعد الفوت.

تأملوا يا عبادَ الله واعتبروا الموتُ بالبابِ والأرواحُ تنتظرُ

الموتُ لا يقرعُ باباً، ولا يهابُ حجاباً، ولا يقبلُ بديلاً، ولا يأخذُ كفيلاً، ولا يرحمُ صغيراً، ولا يوقِّرُ كبيراً.

وفي كتابِ مجموعةِ أحاديثِ الشهابِ القضاعي، المتوفى سنة ٤٥٤هـ:

"عجبتُ لغافلٍ ولا يُغفَلُ عنه، وعجبتُ لمؤمِّلِ دنيا والموتُ يطلبه، وعجبتُ لضاحكٍ ملءَ فيهِ ولا يدري أأرضَى الله أم أسخطه"(١).

"يا عجباً كلَّ العجبِ للمصدِّقِ بدارِ الخلود، وهو يسعَى لدارِ الغرور"(٢).

"كأنَّ الحقَّ فيها على غيرِنا وجب، وكأنَّ الموتَ فيها على غيرنا كُتب، وكأنَّ الذين نشيّعُ من الأمواتِ سفرٌ عمّا قليلٍ إلينا عائدون، نبوّؤهم أجداثَهم، ونأكلُ تراثَهم، كأنا مخلَّدونَ بعدهم، قد نسينا كلَّ موعظة، وأمنّا كلَّ جائحة" ا.هـ. (٣).

ومن خطبةِ لقسِّ بن ساعدة الإيادي، المتوفَّى سنة ٢٣ قبل الهجرة: من عاشَ مات، ومن ماتَ فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت. تبّاً لأربابِ الغفلةِ من الأممِ الخالية، والقرونِ الماضية، يا معشرَ إياد، أينَ الآباء والأجداد، والمريضُ والعوَّاد، والفراعنةُ الشِّداد؟ أين مَنْ ملكَ الخافقين، وأذلَّ الثقلين، وعُمِّرَ ألفين؟ أين من بنَى وشيَّد، وزخرفَ ونجَّد، وغرَّهُ المالُ والولد؟ أين من طغَى وبغَى، وجمعَ فأوعَى، وقال أنا ربُّكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً، وأطولَ آجالاً، وأبعدَ آمالاً، طحنهم الترابُ بكلكله، ومزَّقهم بتطاوله، فتلك عظامهُم بالية، وبيوتهم خاوية، عمَّرتها الذئابُ العاوية.

قال الكمالُ أحسنَ الله تعالى إليه، في تخميسِ لاميةِ ابن الوردي:

سلَّموا ما عندهم واستسلموا للردَى بالرغمِ عما نعموا
أتراهمُ غرموا أم غنموا سيعيدُ الله كلاًّ منهمُ

(١) مسند الشهاب (٥٩٤)، وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف. تحرير التقريب (٢٤٥٦). وأضفت إلى النص واوات عطف من المصدر.

(٢) مسند الشهاب (٥٩٥) وهو جزء من حديث، في سنده النضر بن إسماعيل وهو ليس بالقوي (تحرير التقريب ٧١٣٠)، وعبدالله بن مسور الهاشمي، ليس بثقة، أحاديثه موضوعة (لسان الميزان ١٤٥٣).

(٣) مسند الشهاب (٣٩٨). وقد ورد هذا الحديث في لسان الميزان أيضاً (١٠٢٧) وأنه موضوع...

وسيجزي فاعلاً ما قد فعلْ

عمر الإنسان وقيمته

يُستفادُ من هذا الحديثِ الذي رواهُ البخاري ومسلم، وهو قولهُ ﷺ: **"أرأيتكمْ ليلتكمْ هذه؟ فإن على رأسِ مئةِ سنةٍ منها لا يبقَى ممَّن هو على ظهرِ الأرضِ أحد"**[1] أن العمرَ الطبيعيَّ للإنسانِ هو مئةُ سنة[2]، ولكنْ قلَّ من يبلغُ المئةَ من عمره، فقد وردَ في الحديثِ الشريف: **"أعمارُ أمتي ما بين الستينَ إلى السبعين، وأقلُّهم من يجوزُ ذلك"**. رواهُ الترمذي عن أبي هريرة[3].

وورد في حديث آخر: **"معترَكُ المنايا ما بين الستينَ إلى السبعين"**. رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة[4].

وكيفما كان عمرُ المرء، فإن:

كثيرُ حياةِ المرءِ مثلُ قليلها يزولُ وباقي عمرِهِ مثلُ ذاهبِ
وإذا كانَ منتهى العمرِ موتاً فسواءٌ طويلهُ والقصيرُ

ليست الفائدةُ في طولِ العمرِ فقط، بل بحسنِ العملِ فيه، وحبَّذا العمرُ الطويلُ مع العملِ الحسن، فقد قال رسولُ الله ﷺ: **"خيرُ الناس من طالَ عمرهُ وحسنَ عمله، وشرُّ الناسِ من طالَ عمرهُ وساءَ عمل"**. رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي بكرة نفيع بن الحارث[5].

وقال في حديث آخر: **"السعادةُ كلُّ السعادة، طولُ العمرِ في طاعةِ الله تعالى"**. رواه القضاعي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٦٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٥٣٧) واللفظ له.
(٢) لا أدري كيف استنتج المؤلف هذا؟
(٣) سنن الترمذي (٣٥٥٠) وقال: حديث حسن غريب، المستدرك على الصحيحين (٣٥٩٨) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، واللفظ له، وصححه في صحيح الجامع الصغير (١٠٧٣).
(٤) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ١/ ١٣٩، وحسَّنه له في صحيح الجامع الصغير (٥٨٨١).
(٥) المستدرك للحاكم (١٢٥٦)، سنن الترمذي (٢٣٣٠) وقال: حديث حسن صحيح، مسند أحمد (٢٠٤٣١) وصححه لهم في صحيح الجامع الصغير (٣٢٩٧) وهو دمج لحديث فيه سؤال وجواب.

والديلمي عن ابن عمر[١].

فليكنِ الإنسانُ حريصاً على فعلِ ما يُرضي الله فهو بيده، أكثرَ من حرصهِ على أن يكونَ عمرهُ طويلاً وليسَ طولهُ بيده.

وقبيحٌ بالإنسانِ أن يكبرَ سنُّهُ ولا يصلحَ حاله، فقد كفَى الإسلامُ والشيبُ للمرءِ ناهياً عن مداومةِ ما كان فيه لاهياً، ففي الحديثِ الشريفِ: **"من أتى عليه أربعونَ سنةً فلم يغلبْ خيرهُ شرَّه، فليتجهزْ إلى النار"**. رواه أبو الفتح الأزدي عن ابن عباس مرفوعاً[٢].

وفي حديث آخر: **"أعذرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّرَ عمرَهُ حتى بلغَ ستينَ سنة"**. رواه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري والحاكم وغيرهم، عن سهل بن سعد الساعدي[٣].

وقال عبدالله بن المعتز العباسي، المتوفى سنة ٢٩٦هـ:

عمرُ الفتى ذكرهُ لا طولُ مدَّته وموتهُ حزنهُ لا يومهُ الداني
فأحي ذكركَ بالإحسانِ تفعلهُ يجمعْ به لكَ في الدنيا حياتانِ

وقال عبدالمؤمنِ المغربيُّ الأصفهانيُّ في كتابه "أطباق الذهب": العمرُ وإن طالَ فما تحتهُ طائل، وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل، سفينةُ العمرِ تجري، ولا تدري أين تسري، لعمري من عاينَ تلوُّنَ الليلِ والنهارِ لا يغترُّ بدهره، ومن عرفَ أن بطنَ الثرَى مضجعهُ لا يمرحُ على ظهره، ومن عرفَ الدهرَ حقَّ العرفانِ زهدَ فيه، ومن شغلهُ ذكرُ الموتِ لا يضحكُ ملءَ فيه، لو يعلمُ الجَزْلُ[٤] صولةَ النجار، وعضَّةَ المنشار، لما تطاولَ شبراً، ولا تخايلَ كِبْراً، وسيقولُ البلبلُ المعتقل: ليتني كنت غراباً، {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}[٥].

وكيفَ يفرحُ بعمرٍ تنقصهُ الساعات، وسلامةِ بدنٍ معرَّضٍ للآفات، وما بعدَ الموتِ إلا الأسفُ والحسرات.

---

(١) مسند الشهاب (٣١٢)، الفردوس بمأثور الخطاب (٣٥٦٦) وضعفه في ضعيف الجامع (٣٣٤٤).
(٢) أورده ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٢٤ وقال: حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وجرَّح رجالاً في السند.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٤١٩) وهو من حديث أبي هريرة، المستدرك للحاكم (٣٥٩٩) وكذلك هو من حديث أبي هريرة، والآتي أيضاً من مسند أحمد (٩٣٨٣) الذي صحح إسناده الشيخ شعيب، وهو أقرب إلى لفظ البخاري، وبدايته في الأخيرين تختلف.
(٤) الجزل: الحطب العظيم اليابس.
(٥) سورة النبأ، الآية ٤٠.

إنما نعمةُ قومٍ متعةٌ وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعارُ[1]

وسيقولُ الغافلُ واللاه[2]: يا حسرتي على ما فرطت في جنبِ الله.

العالمُ بحر، والعمرُ فيه سفينة، والوقت السَّكَّان (الدفة)[3]، والحسدُ العاصفة، والرجاءُ القبطان، ولا بدَّ للسفينةِ أن تصلَ إلى الشاطئ، وهو الموت.

نحن ركبٌ نسري بليلٍ من النفـ ـسِ سراعاً تحثُّنا الآجالُ
فخُطانا أنفاسُنا والمنايا منتهانا وزادُنا الأعمالُ

وجديرٌ بالإنسانِ أن يكونَ شحيحاً على عمرهِ أكثرَ من شحِّهِ على درهمِهِ ودينارِه، فإن العمرَ رأسُ المال، وما من نفَسٍ يُبديه، إلا ولله سؤالٌ فيه، والأنفاسُ معدودة، والآجالُ محدودة.

إذا كان رأسَ المالِ عمرُك فاحترسْ عليه من الإنفاق في غيرِ واجبِ[4]

وخليقٌ بمن كان الموتُ مصرعَه، والترابُ مضجعَه، والدودُ أنيسَه، ومنكرٌ ونكيرٌ جليسَه، والقبرُ مقرَّه، وبطنُ الأرضِ مستقرَّه، والقيامةُ موعدَه، والجنةُ أو النارُ موردَه؛ أن لا يهنأ بطعام، ولا يلتذَّ بمنام، ولا يهدأ بمكان، ولا يأنسَ بإنسان، ولا ينعمَ له حال، ولا يرتاحَ له بال، ولا يقرَّ له قرار، ولا يأخذهُ اصطبار.

الموتُ راحلةٌ من قامَ بركبها ضلَّ اسمهُ وعفا من عينهِ الأُثرُ

(١) البيت للبحتري، وورد في الأصل (يوم) بدل (قوم،) وصححته من مصدره (حماسة البحتري ١/ ١٨٣).
(٢) لم يثبت الباء في آخره للسجع.
(٣) السكَّان: ما تسكَّن به السفينة وتمنع من الحركة والاضطراب، = = وتعدَّل به في سيرها. المعجم الوسيط. مادة الكلمة نفسها.
(٤) من قصيدة لنجم الدين عمارة التميمي، كما في خزانة الأدب ١/٣١، وفيه (فاحترز) بالزاي.

فصل في تصوير حال الإنسان في صحته وسقامه

إلى شربه بكأس حُمامه

بينما يُرى الإنسانُ مسروراً بشبابه، مغروراً بنعومةِ إهابه[١]، مشهوراً بنفيسِ ثيابه، محبوراً بأصدقائه وأصحابه، مغموراً بسعةِ مالهِ واكتسابه، مستوراً عنه ما يُرادُ به، مغبوطاً بحاله، مبسوطاً بأهلهِ وماله، متكبّراً بجاهِهِ ومقامه، معجباً باحترامهِ وإكرامه، عاكفاً على لهوه، غارقاً في بحرِ صفوه، سادراً في غلوائه، سادراً ثوبَ خُيلائه[٢]، سابحاً في غفلاته، جامحاً في جهالاته، جانحاً إلى ترَّهاته[٣]، مائلاً إلى خُزعبلاته[٤]. سكرانَ من خمرةِ جاهِهِ ومقامه، مصعِّراً خدَّهُ عن تكليمِ أحدٍ أو ردِّ سلامه، لا يُبالي بمن هو بال، لا يخطرُ له ذكرُ الموتِ على بال، كأنه عَلِقَ[٥] من الحُمامِ بذِمام، أو حصلَ من الزمانِ على أمانٍ أو ضمان؛ إذ أسعرتْ فيه الأسقامُ شهابها، وكدرتْ له الأيامُ شرابها، وحوَّمتْ عليهِ المنيَّةُ عقابها، وأعلقتْ به ظُفرها ونابها، فسرتْ به أوجاعه، وتنكَّرتْ عليه طباعه، وأظلَّ رحيلهُ ووداعه، وقلَّ عنه جهادهُ ودفاعه، وأناخَ به الموتُ نياقه، وشدَّ به نطاقه، ومدَّ عليه رُواقه، فأصبحَ ذا بصرٍ حائر، وقلبٍ طائر، ونفسٍ غائر، وأنينٍ عال، وحِراك غال، وألمٍ متوال، وفؤادٍ سال، عن الأهلِ والمال، قد أيقنَ بمفارقةِ أهلهِ وسكنه، وأذعنَ لانتزاع روحهِ من بدنه، وهو بنفسهِ يجود، والحاضرونَ بين قيامٍ وقعود، والطبيبُ يقلِّبُ كفَّيه، والعائدُ يغمزُ عينيه، والعيونُ لهولِ مصرعهِ تسكب، والحامَّةُ (أي أهلهُ وأقاربهُ) عليه تبكي وتندب، أذابتْ عليه المنونُ جوامدَ مياهِ العيون، حتى إذا وقعتِ الواقعة، وقرعتِ القارعة، وفاضتْ منه النفس، وغابَ الإدراكُ والحسّ، وكثُرَ البكاءُ والعويل، واختلفَ القالُ والقيل، حرَّفوه، وجَّهوه، مدَّدوه، غمَّضوه، رفعوه، غسلوه، كفنوه، حنَّطوه، أخرجوه، حملوه، شيَّعوه، صلَّوا عليهِ ثم قبروه، أبعدوه، أوحدوه، تركوه، فارقوه، أسلموه، خلَّفوه، ثم انثنوا عنه كأنهم لم يعرفوه، بل هم بعد قليلٍ قد نسوه.

هو الموتُ ما فيه وفاءٌ لصاحبٍ وهيهاتَ إنسان يموتُ لإنسانِ

فارقَ أهلَهُ وولده، وتركَ ما خلفهُ لمن بعده، وهو عنه مسؤول، وبنفسهِ مشغول، وتحت أطباقِ الثرى

---

(١) المقصود ثيابه.

(٢) سدل ثوبه: أرخاه.

(٣) جمعُ ترَّهة، وهي الباطل، أو ما لا نفع فيه.

(٤) الخزعبلات، كالسابق، أو الحديث المستظرف الذي يضحك منه. المعجم الوسيط.

(٥) علق: تمكن.

مقبور، إلى يومِ البعثِ والنشور.

هناكَ الجسمُ ممدودُ
ليستأكلهُ الدودُ
إلى أن ينخرَ العودُ
ويمسيَ العظمُ قد رمَّ

سكنَ وضِيْعَ القبور، بعد رفيعِ الغرفِ والقصور، فيا له مضيَّعاً بأفواهِ المنون، مشيَّعاً بأمواهِ العيون، مستبدلاً من الحركةِ بالسكون، مرتحلاً إلى معسكرِ سالفِ القرون، متحمّلاً على مراكبِ الأهوال، تتهاداهُ مناكبُ الرجال، إلى ديارِ الأموات، ومساكنِ الآفات، ومنازلِ قومٍ كانوا فبانوا، وأذلَّ عزَّهم الموتُ فهانوا.

هذه حالةُ صحيحٍ مرضَ فمات، وأمكنهُ أن يتداركَ أمرَهُ فيما بقي من الحياة. {أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ}[1] كلا، بل {إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}[2].

قال الكمال[3] أحسنَ الله تعالى إليه، في تخميسِ لاميةِ ابن الوردي:

لم يطلْ ليلي ولكنْ لم أنمْ ونفَى عني الكرى خوفٌ ألمّ
من شتاتٍ في مماتٍ ملتزمْ كُتِبَ الموتُ على الخلقِ فكمْ

فَلَّ مِنْ جمعٍ وأفنَى مِنْ دُوَل[4]

ذكر موت الفجأة

قال الكمال، أحسنَ الله تعالى إليه، مخمِّساً قولَ الإمام البخاري[5]:

---

(١) سورة الطور، الآية ١٥.
(٢) سورة الذاريات، الآية ٢٣.
(٣) يعني نفسه.
(٤) فلَّ: فرَّق، وانهزم.
(٥) باب في صحيحه، عنوان: باب موت الفجأة: البغتة.

صاحِ مهما تلهو بعمرٍ مريعِ مدةٌ تنقضي بغيرِ رجوعِ[1]
فبخوفٍ ورغبةٍ وخشوعِ اغتنمْ في الحياةِ حُسنَ صنيعِ

فعسى أن يكونَ عمركَ بغتهْ

أينَ من ظلَّ ذا اعتبارٍ وفهم يذرفُ الدمعَ من مخافةِ جُرمِ
صاحِ لا تغترزْ بصحةِ جسمٍ كم صحيحٍ رأيتَ من غيرِ سُقمِ

ذهبتْ نفسهُ الصحيحةُ فلتهْ

وهذا ما يقالُ له موتُ الفجأة، وهي على الميّتِ وأهلهِ شديدةُ الوطأة، من أجلِ ذلكَ يلزمُ أن تكونَ من المرءِ في حساب، ويكونَ لاحتمالِ وقوعهِ فيها باستعدادٍ وعلى متاب، فليسَ للموتِ حالٌ ينتظر، ولا هو مبتدأٌ لازمٌ الخبر.

قال الكمالُ أحسنَ الله تعالى إليه، في "تخميس لامية ابن الوردي":

قصمَ[2] الموتُ ظهورَ العُقلا ويحَ مَنْ قد كانَ عنه غفلا
أيها المجهولُ فينا أجلا إن من يطلبهُ الموتُ على

غرَّةٍ منه جديرٌ بالوحلْ

وقد نظرَ الشارعُ الحكيمُ إلى المؤمنِ حقيقة، الذي لا يشغلهُ عن ذكرِ ربِّهِ وآخرتهِ شاغلٌ في الأولِ والآخر. فقال: "**موتُ الفجأةِ راحةٌ للمؤمن، وأخذةُ أسفٍ للفاجر**". رواهُ الإمام أحمد بن حنبل والبيهقي عن عائشة[3]. فكنْ أيها المؤمنُ من الاحتياطِ والتأهُّبِ عند نظرِ نبيّك، وأقلعْ عن ضلالِكَ وغيّك، فما خُلقتَ إلا لعبادةِ ربّك، فكفاكَ ما كان منكَ وبحسبك.

خلِّ للصلحِ يا خصيمُ محلّا وارْعَ عهداً لمن عرفتَ وإلّا

(١) المريع: الخصيب.

(٢) في الأصل: قسم.

(٣) مسند أحمد (٢٥٠٨٦) قال فيه الشيخ شعيب: إسناده واه، السنن الكبرى للبيهقي (٦٣٦٤) وضعفه في ضعيف الجامع (٥٨٩٦). وقد جاء الحديث في سؤال وجواب.

التبصر بعواقب الأمور

النظر بحال أهل القبور

هم أناسٌ كانوا كما تعلم، من مالكٍ ومملوك، ومنغَّصٍ ومنعَّم، وعالمٍ وجاهل، ونابهٍ وخامل، وغنيٍّ وفقير، وسيّدٍ وأجير، وصحيحٍ ومريض، وسليمٍ ومَهيض، وتقيٍّ وشقيّ، وملوَّثٍ ونقيّ، ومن كلِّ ما خلقَ الله زوجينِ اثنين، ولا أثرَ بعد عين، بانوا بعد ما كانوا، وأذلَّ عزَّهم الموتُ فهانوا.

نُقلوا من سعةِ القصور، إلى ضيقِ القبور، ومن ضياءِ الأسرَّةِ والمهود، إلى ظلامِ الأجداثِ واللحود، ومن ملاعبةِ الجواري والغلمان، إلى مقاساةِ ألمِ الهوامِ والديدان، ومن التنعُّم بأنواعِ الطعامِ والشراب، إلى التمرُّغِ على العفارِ والتراب، غُيّبوا في صدعٍ من الأرضِ ممدودين، لا موسَّدين ولا ممهَّدين، أغنياءَ عما تركوا، فقراءَ إلى ما إليه سُلكوا، حُملوا إلى قبورهم ولم يُدعَوا ركباناً، وأُنزلوا في لحودهم ولم يُسمَّوا ضيفاناً.

جُعلتْ لهم من الضريحِ أكناناً، ومن الترابِ أكفاناً، ومن الرُّفاتِ جيراناً، خلعوا الأسباب، وفارقوا الأحباب، وجاوروا التراب، وواجهوا السؤالَ والجواب، ذهبوا وقد أبقَوا عليهم التبعات، وتقطَّعت أنفسهم من التفريطِ والتقصيرِ حسرات، لا يجيبونَ مَن دعاهم، ولا يلوونَ على من نعاهم، جميعٌ وهم آحاد، جيرانٌ وهم أبعاد، قرضهم الموتُ جيلاً بعد جيل، وسُوّيَ الترابُ بين العزيزِ منهم والذليل، لا يُعرَفُ فيهم المأمورُ من الأمير، ولا المطلَقُ من الأسير، ولا الغنيُّ من الفقير، ولا السيّدُ من الأجير، ولا لابسُ القطنِ من لابسِ الحرير.

إذا كان هذا التربُ يجمعُ بيننا فأهلُ الرزايا مثلُ أهلِ الممالكِ[1]

تمزَّقتْ منهم الجلود، وسالتْ أعينهم فوقَ الخدود، وتفكَّكتْ منهم العظام، وتلاشتْ منهم الأجسام، يجري الصديدُ من أجسادٍ طالما نظَّفوها؛ ويسيحُ القيحُ من أبدانٍ كثرَ ما أترفوها، وجوههم في الترابِ معفَّرة، وعظامهم من البلى نَخِرة، وجماجمهمْ من طولِ المقامِ مكسَّرة، وروائحهم متغيّرة، بعد ما كانتْ عطرة، ومحاسنهم مستنكرة، بعد ما كانتْ نضرة، {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}[2] وانذعاراً، ذهبتْ أيامهم، وطُمستْ أعلامهم، وطحنَ الترابُ عظامهم، فلم يُغنِ عنهم مالهم وكسبهم، ولم

(١) لأبي العلاء المعري.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٨.

تُفدهم مقاماتهم ورتبهم، أصبحوا تحت أطباقِ الثرى جسداً هامداً، ورفاتاً سحيقاً، وصعيداً جُرزاً[1]، سحبتْ عليهم الدنيا أذيالَ الفنا، وأسكنتهم دارَ البلى، فها كلُّ واحدٍ منهم قرينُ جدثٍ لا يؤمَّل، ورهينُ شعثٍ لا يرجَّل، بعد نضارةِ النعيم، وغضارةِ العيشِ الوسيم، زوِّدَ من مالهِ كفناً، وغودرَ بعمله مرتهناً؛ في قبرٍ يطولُ فيه إلى المعادِ سُباته، وما معهُ إلا حسناتهُ أو سيِّئاته.

قال البديعُ الهمذاني، المتوفى سنة ٣٩٨هـ:

فهم في بطونِ الأرضِ بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بَوالٍ دوائرُ
تخلَّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمَّتهم تحتَ الترابِ الحفائرُ
خلتْ دُورهم منهم وأقوتْ عِراصُهم ... وساقتهم نحو المنايا المقادرُ[2]
وأنت على الدنيا حريصٌ منافسٌ ... أتدري أيا مغرورُ فيما تخاطرُ
وإن امرءًا يسعى لدنياهُ جاهداً ... ويذهلُ عن أُخراهُ لا شكَّ خاسرُ

وكلُّ شخصٍ سالكٌ على الطريقِ الذي سلكوا، ومتخلٍّ عمّا ملكَ كما تخلَّوا عما ملكوا، ووارِدٌ ما عليه وردوا، وشاربٌ بالكأسِ الذي منه شربوا، فرحمَ الله ذا شيبةٍ عرفَ حقَّها فأكرمها، وذا شبيبةٍ استحسنها فرحمها، وذا بصيرةٍ خبرَ مادةَ دائهِ فحسمها، وذا سريرةٍ أصلحَ فاسدَها فأحكمها، ما دامتْ أيدي الآجالِ مقبوضة، وكتبُ الأعمالِ مفضوضة، قبل تقاذفِ نجومِ الحياةِ، وترادفِ هجومِ الوفاة، فالموتُ لا يصوِّتُ بأحدٍ إلا كانت نفسهُ صداه، وستذكرونَ {مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ}[3].

حالة الاحتضار

وما فيها من الأهوال والأخطار

الغالبُ فيمن يموتُ أنه يمرضُ أولاً، ثم يشتدُّ به المرضُ حتى يفقدَهُ الحياة، وأولُ ما يبدأُ بخروجِ الروحِ من

(١) أي جدباً، لا نبات فيه.
(٢) أقوت: خوت. والعِراص جمع عَرْصة، وهي ساحة الدار.
(٣) جزء من الآية ٤٤ من سورة غافر.

رجليه فما فوقها حتى تبلغَ الترقوة[1]، ومن فضلِ الله تعالى ورحمتِهِ، أنه يقبلُ توبةَ التائبِ وإسلامَ الكافرِ وهو في هذه الحالة، ويعفو عمّا كان منه من الحقوقِ بينه وبين الله تعالى ولو عُمِّرَ مائةَ سنةٍ في الكفرِ والعصيانِ والفسوق، ما لم يُغَرْغِر، أي ما لم تصلْ روحهُ إلى ترقوته، فإنه لم يكنْ ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبل، كما جاءَ في الحديثِ الشريف: **"إن الله تعالى يَقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ"**. أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما[2]. والغرغرة: الصوتُ الذي يكونُ به بَحَحٌ عند الموت[3].

فإذا احتُضِرَ العبدُ المسلم، ولِّيَ القبلة، وشُدَّ لحياه، وغُمِّضَ عيناه. وإنما يُشَدُّ لحياهُ لئلا يتشوَّهَ منظره، وتُغمَّضُ عيناهُ لأن البصرَ يتبعُ الروح، وفي تغميضها يرى معراجَ الرسول ﷺ الذي نُصِبَ له ليلةَ الإسراءِ فوقَ صخرةِ بيتِ المقدسِ إلى السماء، وذلك إكرامٌ من الله تعالى لمن آمنَ بالمعراجِ الثابتِ لرسولِ الله ﷺ بالروحِ والجسمِ إلى السماواتِ العُلا، إلى حيثُ أرادَ الله تعالى ممّا لا يعلمُ علمهُ غيره.

وتُذكَرُ عند المحتضرِ كلمةُ الشهادة، ولا يُقالُ له: قلْ لا إله إلا الله، لأنه قد لا يقولها، أو يقولُ "لا" ويسكت، فيُساءُ به الظنّ، وقد يكونُ قولهُ "لا" إجابةَ للشيطانِ الذي يريدُ أن يفتنهُ عن دينه، والسامعونَ لا يعلمونَ ذلك، فيظنونَ أنه جوابٌ لهم عن قولهم له قل: لا إله إلا الله، فقد وردَ أن العبد إذا كانَ في غمراتِ الموتِ وسكراته –و **"إن للموتِ لسكراتٍ"** كما جاءَ بها الحديثُ الشريف– قعدَ عندهُ شيطانٌ عن يمينهِ على صفةِ أبيه، وشيطانٌ على يسارهِ على صفةِ أمه، فيقولُ له الذي عن يمينه: يا بني، إني كنتُ شفيقاً عليك، ومحبًّا لك، فمتْ على دينِ النصارى فهو خيرُ الأديان. ويقولُ له الذي عن يسارهِ في صورةِ أمه: يا بني، إنه كان بطني لكَ وعاء، وثديي سقاء، وفخذي وطاء، فمتْ على دينِ اليهودِ فهو خيرُ الأديان. فيزيغُ اللهُ من أرادَ زيغهُ والعياذُ بالله، ويهدي من أرادَ له الهداية، فيصرفُ وجههُ عنهما قائلاً: لا، والسامعون يظنون أنه يجيبهم عن طلبهم كلمةَ الشهادةِ منه بقولِ: لا.

وفي هذا الحالِ يرسلُ الله سيّدنا جبريلَ الأمينَ لمن أرادَ له الهداية، فيقولُ له: يا فلان، أنا جبريل، وهؤلاءِ أعداؤكَ من الشياطين، يريدون أن يغووكَ ويفتنوكَ عن دينكَ لولا أن ثبَّتكَ الله، ويمسحُ شحوبَ وجههِ ويقولُ له: متْ على الملَّةِ الحنيفيةِ والشريعةِ الخليلية.

وإلى تلكَ الحالةِ أشارَ الله تعالى، فقالَ في القرآنِ الكريم: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

(١) هما ترقوتان، عند ثغرة النحر.

(٢) سنن الترمذي (٣٥٣٧) وقال: حديث حسن غريب، وحسَّنه في صحيح الجامع الصغير (١٩٠٣).

(٣) والبحح: غلظ الصوت وخشونته.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[1].

والتثبيتُ في الحياة الدنيا هو عند الاحتضار، وفي الآخرة هو عند سؤالِ الملكين في القبر، وإضلالهُ الظالمينَ هو أن يسلِّطَ عليهم أحدَ ذينك الشياطينِ فيفتنهم عن دينهم.

وقد تعوَّذَ رسولُ الله من فتنةِ المحيا والممات[2]، وهما ما ذكرناه من الفتنةِ حالَ الاحتضار، والفتنةِ عند سؤالِ الملَكين في القبر. يقولُ الله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ. وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ}[3].

سكرات الموت

وفيما يُرى المحتَضَرُ بين مَنْ هم حولهُ ساكتاً ساكناً يقاسي من سكراتِ الموت، ما لو أنَّ ألمَ شعرةٍ واحدةٍ منه وُضِعَ على أهلِ السماواتِ والأرضِ لماتوا جميعاً، وإنه ليحسُّ من نفسهِ كأنهُ عصفورٌ حيٌّ أُلقيَ في مقلاة، لا يموتُ فيستريح، ولا يخلَّصُ فيطير، وكأنَّ جسمَهُ في جبٍّ من نار، وكأنهُ يتنفَّسُ من خرمِ إبرة، وكأنَّ روحَهُ غصنُ شوكٍ يُجْذَبُ من قدميه إلى دماغه، ولولا أن الملائكةَ تكتنفهُ وتحبسه، لكانَ يعدو في الصحراءِ والبراري من شدَّةِ سكراتِ الموت. وقد يخفِّفُ الله تعالى سكراتِ الموتِ على من يشاء، فتكونُ كلسعةِ نحلة. وقد جاءَ في الحديثِ الشريف: **"ما من ميتٍ يُقرأ عنده يس إلاّ هوَّنَ الله عليه"**[4].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

(٢) عن أبي هريرة قال: قال نبي الله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا والممات، وشرّ المسيح الدجال". صحيح مسلم، كتاب المساجد (٥٨٩).

(٣) سورة الواقعة، الآيات ٨٢-٨٥.

(٤) أورده بلفظه من حديث أبي ذر في السلسلة الضعيفة (٥٢١٩) وقال إنه موضوع، وهو بلفظ مقارب في الفردوس للديلمي (٦٠٩٩) من حديث أبي الدرداء، بدون سند.

خروج الروح

وردَ في الحديثِ الشريف: "**إن المؤمنَ إذا احتُضِرَ أتتْ ملائكةُ الرحمةِ بحريرةٍ بيضاء، فيقولون: اخرجي أيتها النفسُ المطمئنةُ التي كانتْ في الجسدِ الطيّب، اخرجي راضيةً مرضيًّا عنك، إلى رَوْحٍ من الله ورَيحان، وربٍّ راضٍ غيرِ غضبان. فتخرجُ كأطيبِ ريحِ المسك، حتى إنه ليتناولها بعضهم بعضاً، ويصعدونَ بها حتى يأتوا أبوابَ السماء، فيقولُ أهلُ السماء: ما أطيبَ هذه الريحَ التي جاءتكم من الأرض، ثم تصعدُ بها الملائكةُ حتى تقفَ بين يدي الله تعالى، فيقولُ الحقُّ جلَّ وعلا: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة، فتسيرُ بها الملائكةُ في الجنةِ قدرَ ما يغسل، ويأتونَ بها أرواحَ المؤمنين، فهم أشدُّ فرحاً من أحدكم بغائبِهِ يقدمُ عليه، فيسألونه: ماذا فعلَ فلان؟ ماذا فعلَ فلان؟ فإذا قال: إن فلاناً قد مات (أي من قبلي) قالوا: ذُهِبَ به إلى الهاوية. وإلى هذا الإشارةُ بقوله تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي}**[1].

وإن الكافرَ إذا احتُضرَ أتتهُ ملائكةُ العذابِ بمِسْحٍ[2] **فيقولون: اخرجي أيتها النفسُ الخبيثةُ التي كانت في الجسدِ الخبيث، اخرجي ساخطةً مسخوطاً عليها إلى عذاب الله، وأبشري بحميمٍ وغسّاق. فتخرجُ أشدَّ نتناً من ريحِ الجيفة، وتُلَفُّ في خرقةٍ سوداء، وتوضَعُ في فخّارٍ فيه نار، ويُصْعَدُ بها إلى السماءِ فلا تُقبل، فتهوي بها الملائكةُ من السماءِ حتى يأتوا بابَ الأرض، فيُقال: ما أنتنَ هذه الريح! ثم يأتونَ بها إلى القبر، وتبقى محبوسةً مع الجسدِ معذَّبة**". أخرجه النسائي عن أبي هريرة[3].

وإلى ذلك الإشارةُ بقولهِ تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}[4].

---

(١) سورة الفجر، الآيات ٢٧-٣٠.

(٢) المِسحْ: كساء من شعر.

(٣) سنن النسائي (١٨٣٣)، المستدرك على الصحيحين (١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤) وقال في الأخير: هذه الأسانيد كلها صحيحة. وصححه لهما في صحيح الجامع الصغير (٤٩٠). وفيما أورده المؤلف زيادة عما في المصدرين السابقين، فيبدو أنه من مصدر آخر، وللحديث روايات وطرق ينظر بعضها في كتاب الروح لابن القيم.

(٤) سورة الانفطار، الآيتان ١٣-١٤.

علامة الخير والشر في الميت

جاءَ في الحديثِ الشريف: **"ارقبوا الميتَ عند وفاته، فإذا ذرفت عيناه، ورشحَ جبينه، وانتشرَ منخراه، فهي رحمةٌ من الله تعالى، وإذا غطَّ غطيطَ البَكرِ المخنوق، وكمدَ لونه، وأزبدَ شِدْقاه، فهو من عذابِ الله نزلَ به"**. رواه الحكيم الترمذي عن سلمان الفارسي[١].

البَكر، بفتح فسكون: الفتيُّ من الإبل، بمنزلةِ الغلامِ من الناس. والغطيط: الصوتُ الذي يُسمَعُ من النائم بحيثُ لا يجدُ مساغاً.

إعلان الوفاة

لا بأسَ بإعلانِ وفاةٍ من يموت، من غيرِ نعي له ولا إطنابٍ فيه، بحسبِ وسائطِ البلدِ التي يموتُ فيها، بقصدِ أن يكونَ المرادُ من الإعلانِ طلبُ السماحِ له ممَّن له معرفةٌ به ومعاملةٌ له، ولاستجلابِ الترحُّمِ عليه، وتكثيرِ سوادِ من يشيّعُ جنازته.

وفي إعلانِ وفاتهِ فائدةٌ أيضاً لمن[٢] يسمعُ بها، فقد جاءَ في الحديثِ الشريف: **"من سمعَ بموتِ مسلم، فدعا له بخير، كتبَ الله له أجرَ من عادَهُ حياً وشيَّعهُ ميتاً"**. رواه الدارقطني عن عبدالله بن عمر[٣].

وقد أبَى حذيفةُ بنُ اليمان أن تُعلنَ وفاتهُ ويدخلَ عليه أحد، فقالَ حينَ احتُضر: إذا أنا متُّ فلا يؤذَنُ عليَّ أحدٌ (أي لا يعلمُ بي أحد)، إني أخافُ أن يكونَ نعياً، فإني سمعتُ رسولَ الله **"ينهى عن النعي"**. أخرجه الترمذي عنه[٤].

---

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ١/ ٤١٤. قال الحافظ العراقي: ولا يصح. المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٦٧٦.

(٢) في الأصل: لن.

(٣) أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني، لمحمد بن طاهر المقدسي (٢٨٦٣) وفيه أن الحديث غريب من حديث بكر عنه، تفرَّد به صالح المري عنه.

(٤) سنن الترمذي (٩٨٦) وقال: حديث حسن صحيح.

البكاء والحزن على الميت

البكاءُ والحزنُ على الميت، سواءٌ أكان صغيراً أم كبيراً، غنيًّا أو فقيراً، محبوباً أو مكروهاً، أمرٌ طبيعي، تقتضيهِ العاطفةُ وتوجبهُ الرحمة، إذ ينظرُ الحيُّ إليه وقد شخصَ بصره، واشتدَّ عن ردِّ الجوابِ حصره، ورأى جداً فشغلَ عن لهوهِ ودَدِه[1]، وما ملكَهُ تخلَّى من يده، فلا يملكُ لنفسهِ خيراً ولا شرًّا، ولا نفعاً ولا ضراً.

ولا بأسَ بالبكاءِ إذا كان بدمعِ العينِ وحزنِ القلب، من غيرِ صخبٍ ولا سخط، ولا دعاءٍ بدعوى الجاهلية. ففي الحديث الشريف: **"إن العينَ لتدمع، وإن القلبَ ليحزن، ولا نقولُ غيرَ ما يَرضَى ربُّنا"**. أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس[2].

وفي حديث آخر: **"إن الله لا يعذِّبُ بدمعِ العينِ ولا بحزنِ القلب، ولكن يعذِّبُ بهذا أو يرحم"** (وأشار إلى لسانه). أخرجه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر[3].

ولا عذابَ على الميِّتِ ببكاءِ أهلهِ ونوحهمْ عليه، إلا إذا أوصاهم أن يبكوهُ ويندبوه، كما هو الشأنُ في الجاهلية، كما قال بعضهم:

قومي اندبيهِ بما علمتِ فإنه شرِّيبُ خمرٍ مسعِرٌ لحروبِ

وقول الآخر:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلهُ وشقِّي عليَّ الثوبَ يا ابنةَ معبدِ

أو إذا سكتَ ولم يوصِ، وهو يعلمُ من عاداتِ أهلهِ وبلدهِ أنهم سيبكونهُ ويندبونه، وهذا المرادُ من حديث: **"إن الميتَ يعذَّبُ ببكاءِ أهلهِ عليه إذا قالوا: وا عضداه، وا جبَلاه، وا سيِّداه، وا كاسباه، وا ناصراه، ونحوَ ذلك، فإن الله يوكِّلُ به مَلَكين يلهزانهِ ويقولانِ له: أهكذا كنتُ؟ أهكذا كنت؟"**. أخرجه

---

(١) الدد: اللهو واللعب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٠٣)، صحيح مسلم (٢٣١٥)، سنن أبي داود (٣١٢٦). وأورده المؤلف = = بلفظ مقارب، وهو أقرب لفظًا إلى المصدر الأول.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٠٤)، صحيح مسلم (٩٢٤).

الترمذي عن أبي موسى الأشعري[1].

واللهز: الدفعُ في الصدرِ بجمعِ الكف.

نعم، إنه وردَ في حديثٍ آخر: **"إن الله ليَزيدُ الكافرَ عذاباً ببكاءِ أهلهِ عليه"**. أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عبدالله بن أبي مليكة[2].

والنياحةُ والمآتمُ ولبسُ السوادِ والحِدادُ وشقُّ الجيوبِ والدعاءُ على أنفسهم بالشرِّ وغيرُ ذلك من منكرِ الأقوالِ والأفعال، منهيٌّ عنه، ففي الحديثِ الشريف: **"لعنَ الله النائحةَ والمستمعةَ لها"**. رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه[3].

وفي حديثٍ آخر: **"ليسَ منّا من لطمَ الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوَى الجاهلية"**. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد بن حنبل، عن عبدالله بن مسعود[4].

وفي حديث آخر: **"لعنَ الله الخامشةَ وجهها، والشاقَّةَ جيبَها، والداعيةَ بالويلِ والثبور"**. رواه ابن ماجه وابن حبّان، عن أبي أمامة الباهلي[5].

وفي حديث آخر: **"لا تدعوا على أنفسِكم إلا بخير، فإن الملائكةَ يؤمِّنون على ما تقولون"**[6].

وفي حديث آخر: **"لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليوم الآخر أن تحدَّ على ميتٍ فوقَ ثلاث، إلا على**

---

(١) سنن الترمذي (١٠٠٣) وقال: حديث حسن غريب، وحسَّنه في صحيح الجامع الصغير (٥٧٨٨). وليس موافقاً للفظه، وكأنه جمع من عدة نصوص حديثية وردت في ذلك.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٢٨٨)، سنن النسائي (١٨٥٨)، صحيح مسلم (٩٢٩) وهو من رواية عبدالله بن أبي ملكية عن ابن عباس عن عائشة.

(٣) سنن أبي داود (٣١٢٨) وضعفه في ضعيف الجامع (٤٦٩٠) ولفظه في السنن: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٢٩٤)، مسند أحمد (٤٣٦١)، صحيح مسلم (١٠٣)، سنن النسائي (١٨٦٠)، سنن ابن ماجه (١٥٨٤)، سنن الترمذي (٩٩٩) وقال: حديث حسن صحيح، صحيح الجامع الصغير (٥٤٤١). واللفظ للبخاري.

(٥) سنن ابن ماجه (١٥٨٥)، الإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان (٣١٥٦) وذكر الشيخ شعيب أنه صحيح على شرط مسلم، وحسَّنه لهما في صحيح الجامع الصغير (٥٠٩٢).

(٦) صحيح مسلم (٩٢٠)، صحيح الجامع الصغير (٧٢٦٦) من حديث أم سلمة.

زوج، فإنها تحدُّ عليه أربعةَ أشهرٍ وعشراً". رواه البخاري عن أم حبيبة[1].

والإحدادُ إنما يكونُ بتركِ الزينةِ والطيبِ والكحلِ والادِّهانِ ولبسِ الجديد.

الصبر والتعزية

المرءُ في الدنيا عرضةٌ للنوائب، وهدفٌ للمصائب، عظيماً كانَ أو حقيراً، كلٌّ بحسبه. ومن أجلِ ذلك وردتِ الآياتُ الكريمةُ والأحاديثُ الشريفةُ بالحثِّ على الصبر، والوعدِ عليه بالثوابِ العظيم في الآخرة. وإذا لم يصبرِ الإنسانُ فماذا يعمل، وليسَ يملكُ لنفسهِ ضراً ولا نفعاً؟

قال الله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[2].

وفي الحديثِ الشريف: **"الصبرُ والاحتسابُ أفضلُ من عتق الرقاب، يُدخلُ الله بهما الجنةَ بغيرِ حساب"**. رواه أبو يعلى الموصلي عن أبي هريرة[3].

وفي حديثٍ آخر: **"مَن استرجعَ عند المصيبةِ جبرَ الله مصيبته، وأحسنَ عقباه، وجعلَ له خَلفاً صالحاً يرضاه"**. رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس[4].

وإنما يُثابُ الذي يتلقى القضاءَ بالرضا، لا الذي يصيحُ وينوحُ ويبكي ويفعلُ ما يفعل، ثم يسكنُ بعد ذلك، ففي الحديثِ الشريف: **"الصبرُ عند الصدمةِ الأولى"**. رواه البزار عن أبي هريرةَ وسعيدُ بن منصور

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الجنائز (١٢٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآيات ١٥٥-١٥٧.

(٣) هكذا ذكر المؤلف تخريجه، وهو في ضعيف الجامع الصغير (٣٥٣٧) بدرجة ضعيف جداً، من رواية الطبراني عن الحكيم بن عمير الثمالي.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري ٢/ ٤٣، المعجم الكبير للطبراني (١٣٠٢٧)، شعب الإيمان للبيهقي (٩٦٨٩)، قال في مجمع الزوائد ٢/ ٣٣١ عن رواية الطبراني: فيه علي بن أبي طلحة وهو ضعيف. وهو في سند السابقين أيضاً. ومعنى استرجع قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

عن الحسن البصري مرسلاً[1].

وفي حديثٍ آخر: **"لعنَ الله الخامشة وجهها والشاقَّةَ جيبها والداعيةَ بالويلِ والثبور"**. رواه ابن ماجه وابن حبّان عن أبي أمامة الباهلي[2].

وفي حديثٍ آخر: **"لا يصيبُ أحداً من المسلمينَ مصيبة، فيسترجعُ عند مصيبتهِ ثم يقول: اللهم آجرني في مصيبتي واخلفْ لي خيراً منها، إلا فعلَ ذلك به"**. رواه الإمام أحمد بن حنبل والبيهقي عن أمِّ سلمة[3].

وفي حديثٍ آخر: **"ما من نعمةٍ وإنْ تقادمَ عهدُها يجدِّدُ لها العبدُ الحمدَ، إلاّ جدَّدَ الله له ثوابَها، وما من مصيبةٍ وإنْ تقادمَ عهدُها، يجدِّدُ لها العبدُ الاسترجاع، إلاّ جدَّدَ الله له ثوابَها وأجرَها"**. رواه الحكيم الترمذي عن أنس بن مالك[4].

وقال الشعبي، المتوفى سنة ١٠٤هـ: إني لأُصابُ فأحمدُ الله أربعَ مرات: أحمدهُ إذ لم تكنْ أعظمَ مما هي، وأحمدهُ إذ رزقني الصبرَ عليها، وأحمدهُ إذ وفَّقني لما أرجو فيه الثواب؛ وأحمدهُ إذ لم يجعلها في ديني[5].

وقالت الشعراءُ في الحثِّ على الصبر:

ولا خيرَ فيمن لا يوطِّنُ نفسَهُ على نائباتِ الدَّهرِ حينَ تنوبُ[6]

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ واعلمْ بأن المرءَ غيرُ مخلَّدِ
وإذا ذكرتَ مصيبةً تسلو بها فاذكرْ مُصابكَ بالنبيِّ محمدِ[7]

---

(١) صححه للبزار في صحيح الجامع الصغير (٣٨٥٦)، وضعفه لسعيد بن منصور في ضعيف الجامع الصغير (٣٥٣٤).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) مسند أحمد (١٦٣٨٨)، قال الشيخ شعيب: رجاله ثقات، إلا أن المطلب – وهو عبدالله بن حنطب – روايته عن الصحابة مرسلة. وجاء آخر كلمة فيه (له) وصححته من مصدره وغيره. وهو بألفاظ مقاربة عند مسلم (٩١٨) وغيره.

(٤) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ٢/ ٢٠٣.

(٥) هذا يرويه الشعبي من قول شريح، كما في سير أعلام النبلاء ١٠٥/٤ وغيره.

(٦) جمهرة الأمثال ٢/ ١٧.

(٧) لبعض الشعراء. روضة العقلاء ١٦٣/١، الأمالي للقالي ٢/ ٣٧.

وقال أبو تمام، المتوفى سنة ٢٣١هـ:

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ مقالَ خبيرٍ بالحقيقةِ عالمِ
أتصبرُ للبلوى عزاءً وحسبةً فتؤجرُ أم تسلو سلوَّ البهائمِ[١]

ومن كلامِ بديع الزمانِ الهمذاني، المتوفى سنة ٣٩٨هـ: أحسنُ ما في الدهر عمومهُ بالنوائب، وخصوصهُ بالرغائب، فهو يدعو الجَفَلى[٢] إذا ساء، ويختصُّ بالنعمةِ إذا شاء. فلينظر الإنسانُ في الدهرِ وصروفه، والموتِ وصنوفه، من فاتحةِ أمرهِ إلى خاتمةِ عمره، هل يجدُ لنفسهِ أثراً في نفسه، أم لتدبيرهِ عوناً على تصويره، أم لعملهِ تقديماً لأمله، أم لحيلهِ تأخيراً لأجله. كلا، بل هو العبدُ لم يكنْ شيئاً مذكوراً، خُلِقَ مقهوراً، ورُزِقَ مقدوراً، فهو يَحيى جبراً، ويهلكُ صبراً. وليتأمَّلِ المرءُ كيفَ كانَ قبلاً، فإنْ كان العدمُ أصلاً، والوجودُ فضلاً فليعلمِ الموتَ عدلاً، وإن أحبَّ أن لا يحزن، فلينظرْ يمنةً هل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطفْ يسرةً هل يرى إلا حسرة؟

وقال المتنبي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ:

وقد فارقَ الناسُ الأحبةَ قبلنا وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طبيبِ
سُبقنا إلى الدنيا فلو دامَ أهلها مُنعنا بها من جَيئةٍ وذُهوبِ[٣]

والتعزية مصدرُ عزاه، أي صبَّرهُ وسلَّاه، وقال له: أحسن الله عزاءَك، أي: رزقكَ اللهُ الصبرَ الحسن. وفي الحديثِ الشريف: "**من لم يتعزَّ بعزاءِ الله فليسَ مني**"[٤] أي: من لم يردَّ أمرَهُ إلى الله عند مُصابه، وهي سنةٌ للمصابينَ إذا صبروا. وأما من سخطَ فلا أجرَ له.

ووقتُها من حينِ الموتِ إلى ثلاثةِ أيام، إلاّ إذا كان المعزِّي أو المعزَّى غائباً، والأولى أن تكونَ بعد الدفن، وفيها الثوابُ للمعزِّي أيضاً، لما في حديث: "**من عزَّى مُصاباً فله مثلُ أجره**". رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود[٥].

---

(١) خزانة الأدب ٢/ ٤٨٩، كتاب الصناعتين ١/ ٢١٢، والشطر الثاني في البيت الأول فيهما: وخاف عليه بعض تلك المآثم.

(٢) الجفلى: الجماعة من الناس.

(٣) معاهد التنصيص ١/ ٣٢٣.

(٤) أورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣٣، وآخره فيه: منا.

(٥) سنن الترمذي (١٠٧٣) وقال: حديث غريب، سنن ابن ماجه (١٦٠٢)، وضعفه في ضعيف الجامع (٥٦٩٦).

وليسَ لها صورةٌ مخصوصة، بل هي كلُّ كلامٍ فيه دعاءٌ للميّتِ والحيِّ المعزَّى به، ويستحبُّ أن يقول: "**إن لله ما أخذَ وله ما أعطى، وكلُّ شيءٍ عندهُ بأجلٍ مسمّى**"[١]، وفيه خلفٌ عن كلِّ أحد، ودركٌ لكل رغبة، ونجاةٌ من كلِّ مخافة، وعزاءٌ عن كلِّ مصيبة[٢]، غفرَ الله لميّتكَ وتجاوزَ عنه، وتغمَّده برحمته، ورزقكَ الصبرَ على مصيبتك به، وآجركَ على موته[٣].

وهذه الجملُ من كلامِ النبوَّة[٤]، وفيها البلاغُ والكفاية.

ويكرهُ الجلوسُ للتعزيةِ في البيوتِ أو المساجدِ أو غيرها، بل الأولى أن يتفرَّقَ الناسُ بعد الدفن.

وقال ابن الشبل البغدادي[٥] المتوفى سنة ٤٧٤ من مرثية:

غايةُ الحزنِ والسرورِ انقضاءُ ... مالحيِّ من بعدِ ميتٍ بقاءُ
لا لبيدٌ بأربدَ مات حزناً ... وسلتْ عن شقيقها الخنساءُ[٦]
مثلما في الترابِ يبلى الفتى فالـ ... ـحزنُ يبلى من بعدهِ والبكاءُ
إنما نحنُ بين ظُفرٍ ونابٍ ... من خطوبِ أسودهنَّ ضراءُ
صحةُ المرءِ للسقامِ طريقٌ ... وطريقُ الفناءِ هذا البقاءُ
موتُ ذا العالمِ المفضلِ بالنطـ ... ـقِ وذا السارحِ البهيمِ سواءُ
لا غويٌّ لموتهِ تضحكُ الأر ... ضُ ولا للتقيِّ تبكي السماءُ
إنما الناسُ قادمٌ إثرَ ماضٍ ... بدءُ قومٍ للآخرينَ انتهاءُ[٧]

وقال الكمالُ[٨] أحسنَ الله تعالى إليه، من قصيدةٍ يرثي بها ولدهُ البكر عبدالرحمن كمالات، وقد توفي طفلاً صغيراً سنة ١٣٣٨:

---

(١) صحيح مسلم (٩٢٣)، صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٢٨٤).
(٢) ذكرت هذه التعزية عند وفاة الرسول ﷺ، وذكر ابن حجر أن سنده فيه مقال، وشيخ الراوي لا يعرف. فليس هو بحديث. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣١٦.
(٣) أورده صاحب الفتاوى الهندية ١/ ١٦٧ ولم يعزه لأحد، ولا أعرفه حديثاً.
(٤) قد رأيت تخريجه. والله أعلم.
(٥) محمد بن الحسين بن الشبل، الأديب الرئيس، الشاعر البغدادي.
(٦) أربد هو أخو لبيد.
(٧) الوافي بالوفيات ٣/ ١٢.
(٨) يعني نفسه.

إني لأعجبُ كيف يضحكُ ضاحكٌ والموتُ مكتنفٌ جميعَ جهاتهِ
أو لم يرَ المجموعَ من أحيائه كالفردِ نسبتهم إلى أمواتهِ
لمَ لا يكونُ له بموتِ ذويهِ من عبرٍ فيوقظُ من كرَى غفلاتهِ
خلِّ الأحبةَ والصواحبَ والأقا ربَ غيرَ مَنْ هم مِن ذوي عصباتهِ
أو لم يكنْ بأبيهِ بل وبأمِّه عظةٌ وإخوتهِ ولا أخواتهِ
وفروعهِ وهم الأولى ربّاهم كالزهرِ من أبنائهِ وبناتهِ

ومن حسنِ التعزيةِ أنه ماتَ لكسرى نوشيروان ولد، فاشتدَّ جزعهُ عليه، فدخلَ عليه وزيرهُ فقال: لم أحضرْ مجلسَ الملكِ لأعزّيه، ولكنْ لأتأدَّبَ بحسنِ صبره، فقال كسرى: اضطرَّني والله إلى الصبر، لله درُّهُ ما أحسنَ تعزيته!

وقال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي، المتوفى سنة ٦٤٩هـ من مرثية:

يجدُّ الردَى فينا ونحنُ نهازلهْ ونغفو وما تغفو فواقًا نوازلهْ
بقاءُ الفتى سؤلٌ يعزُّ طلابهُ وريبُ الردَى قِرنٌ يذلُّ مصاولهْ[1]
وأنفسُ خصميكَ الذي لا تنالهُ وأنكى عدوّيكَ الذي لا تقاتلهْ
ألا إن صرفَ الدهر بحرُ نوائبٍ وكلُّ الورَى غرقاهُ والموتُ ساحلهْ
وأكثرُ من حزنِ الجزوعِ خطوبهُ وأكبرُ من حزمِ اللبيبِ غوائلهْ
فما عصمتْ نفسُ المقدَّسِ روعهُ ولا قصرتْ بالمستكينِ علائلهْ
وكيف نجاةُ المرءِ أو فلتاتهُ على أسهمٍ قد ناسبتها مقاتلهْ

وقال ابن الرومي، المتوفى سنة ٢٨٣هـ:

رأيتُ الدهرَ يجرحُ ثم يأسو يعوّضُ أو يسلّي أو ينسّي
أبتْ نفسي الهلاكَ لفقدِ شيءٍ كفى حزناً لنفسي فقدُ نفسي[2]

وقال إبراهيم بن كنيف النبهاني، من شعراءِ الحماسة[3]:

(١) في مصدر "يزل" بدل "يذل".
(٢) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٨٧ وفيه (الهلاع) بدل (الهلاك). والهلاع: الجبن والجزع.
(٣) وهو شاعر إسلامي عُرف بأبيات، منها هذه.

تعزَّ فإن الصبرَ بالحرِّ أجملُ ... وليس على رَيبِ الزمانِ معوَّلُ
فلو كان يُغني أن يُرى المرءُ جازعاً ... لحادثةٍ أو كان يُغني التذلُّلُ
لكان التعزّي عند كلِّ مصيبةٍ ... ونائبةٍ بالحرِّ أولى وأجملُ
فكيفَ وكلٌّ ليسَ يعدو حُمامَهُ ... وما لامرئٍ عما قضَى الله مزحلُ[1]

وقال أبو الحسن علي التهامي، المتوفى سنة ٤١٦هـ:

حكمُ المنيةِ في البريَّةِ جاري ... ما هذهِ الدنيا بدارِ قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مخبراً ... فإذا به خبرٌ من الأخبارِ
والعيشُ نومٌ والمنيَّةُ يقظَةٌ ... والمرءُ بينهما خيالُ ساري
والنفسُ إن رضيتْ بذلكَ أو أبتْ ... منقادةٌ بأزمةِ الأقدارِ
والناسُ مشتبهونَ في إيرادهم ... وتفاضلُ الأقوامِ في الأصدارِ[2]

وقال ابن مناذر، المتوفى سنة ١٩٨هـ:

كلُّ حيٍّ لاقَى الحُمامَ فمودي ... ما لحيٍّ مؤمَّلٌ من خلودِ
لا تهابُ المنونُ شيئاً ولا تر ... عَى على والدٍ ولا مولودِ
ولقد تتركُ الحوادثُ والأيا ... مُ وهناً في الصخرةِ الصيخودِ[3]
وأرانا كالزرعِ يحصدهُ الدهـ ... ـرُ فمن بين قائمٍ وحصيدِ
وكأنا للموت ركبٌ مجدُّو ... نَ سراعاً لمنهلٍ مورودِ[4]

المآتم والمطاعم

يُكرهُ الجلوسُ للمآتم، وتأبينُ الميّت، وتعدادُ مناقبه، ونصبُ السُّرادقاتِ لذلك، كما يُفعَلُ في مصر، أو

(١) الوافي بالوفيات ٦/ ٦٢. والمزحل: التنحّي.
(٢) أبيات منه في تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٢٢.
(٣) الصيخود: القاسي الذي لا تؤثر فيه المعاول.
(٤) الكامل في الأدب ٢/ ٢٣٢.

نصبُ السُّرادقِ على القبر، فقد رأى سيّدنا عبدالله بنُ عمر بنِ الخطابِ فُسطاطاً على قبرِ عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضيَ الله تعالى عنهم، فقال لغلامه: يا غلام "انزعه، فإنما يظلُّه عمله". رواه البخاري[1].

ويُكرَهُ ذبحُ الذبائح عند خروجِ الميّتِ من البيتِ أو عند القبر، وإعدادُ الطعامِ لمن يجتمعُ للتعزية، فإن كانَ في الورثةِ قاصرٌ عن درجةِ البلوغِ حرمَ ذلك، وحرمَ صرفُ كلِّ ما فيه زيادةٌ على الواجبِ الشرعيِّ في تجهيز الميّتِ ودفنه، بل الأولى بأقاربِ الميّتِ وأصدقائهِ أن يضعوا لأهل الميّتِ طعاماً يرسلونهُ إليهم، فإنهم في شاغلٍ عن أن يعدُّوا لأنفسهم طعاماً، فضلاً عن أن يعدُّوا لغيرهم، فقد قال رسولُ الله ﷺ: "**اصنعوا لآلِ جعفرٍ طعاماً، فإنهم قد أتاهم ما يشغلهم**". رواهُ الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم، عن عبدالله بن جعفر[2].

وبعضُ أهلِ البلادِ الإسلامية، كأهلِ سوريا، يعملونَ بموجبِ هذا الحديث، وهو عملٌ حسنٌ يتقاضونَهُ فيما بينهم.

حقوق الميت على الحيّ

للميّتِ على الحيِّ الأقربِ منه فالأقرب، حقوقُ غسلهِ وتكفينهِ وتشييعهِ والصلاةِ عليه ودفنه، ثم قضاءِ ما عليه بعد ذلكَ من الدَّين، ثم إنفاذِ وصيَّتهِ من ثلثِ ماله، وبعد ذلك يقتسمُ ورثتهُ الأدنونَ ما تركَ من مال، كلٌّ بحسبِ ما يستحقُّه.

غسل الميت

يجبُ على الحيِّ القريبِ من الميّتِ غسلُ ميّته، وللغسلِ كيفيَّةٌ منصوصٌ عليها في كتبِ الفقهِ يعرفها الحانوتية، أي متَّخذو غسلِ الميّتِ وتكفينهِ ودفنهِ حرفةً لهم، لا يزاحمهم عليها غيرهم، كما هو الحالُ في بلادِ

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، أول باب الجريد على القبر.

(٢) مسند أحمد (١٧٥١)، سنن أبي داود (٣١٣٢)، سنن الترمذي (٩٩٨) وقال: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه (١٦١٠)، المستدرك للحاكم (١٣٧٧) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه في صحيح الجامع (١٠١٥).

مصر، فإنهم علماءُ بهذا الخصوص، عملاً أكثرَ من غيرهم علماً، والأمرُ موكولٌ إليهم في غسلِ الميّت وكيفيته، وما يلزمُ له لا يقومُ به غيرهم، مهما كان عالمًا، ولو كان قريبًا للميت، فلذلكَ لا حاجةَ لبيانِ الكيفيَّةِ المنصوصِ عليها، لأن بيانها لا يُجدي نفعاً، ولا يغيّرُ ما اعتادَ عليه الغسَّالونَ شيئاً، على أنه لا بأسَ بما يتعاملونَ به من الكيفية.

الكفن

وأما الكفن، فهو وإنْ كانَ بحسبِ حالِ الميّت، فإن للحانوتيَّةِ رأياً فيه، والشرعُ يأمرُ بتكفينِ الميّت، ولكنهُ ينهى عن التغالي فيه، لما في التغالي من الإسرافِ وتضييعِ حقوقِ الورثة، لا سيَّما إذا كان فيهم أيتام، ولو كانوا أغنياء، وإنما يُكفنُ بأكفانٍ نقيَّةٍ متوسِّطةِ الثمن، ليس فيها سوادٌ ولا حرير؛ ففي الحديثِ الشريف: **"لا تَغالَوا في الكفن، فإنه يُسلبُ سلباً سريعاً"**. رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب[1]. والموتى يتباهونَ بأكفانهم الموافقةِ للسنة، ويشكرونَ الله تعالى عليها، وردَ بذلكَ الحديث[2].

تشييع الجنازة

تشييعُ الجنازةْ سنَّة، ويندبُ أن يكونَ المشيّعُ ماشياً، ويُكرهُ الركوبُ إلا لعذر، ويُكرَهُ رفعُ الصوتِ ولو بالذكرِ في حالِ التشييع، أو بقراءةِ القرآن، ويُكرهُ أن تُتْبَعَ الجنازةُ بالمباخرِ والشموع، لحديث: **"لا تُتْبَعُ الجنازةُ بصوتٍ ولا نارٍ ولا يُمشَى بين يديها"** رواه أبو داود عن أبي هريرة[3].

ويحرمُ اتباعُ جنازةٍ تُشيَّعُ بمنكر، كالموسيقى والنائحة، لما في اتباعها مع ذلك المنكرِ من إقرارِ المعصيةِ

(١) سنن أبي داود (٣١٥٤) وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٦٢٤٧). وأضيف للحديث كلمة "سلباً" من مصدره.

(٢) لعله يعني حديث "حسِّنوا أكفان موتاكم فإنهم يتزاورون في قبورهم"، الذي أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٤١٤.

(٣) سنن أبي داود (١٠٨٩٣)، وضعفه في ضعيف الجامع (٦١٩٠). وورد في الأصل "لا تتبعوا" فصححته من مصدره.

والرِّضا بها.

والأفضلُ التشييعُ إلى القبر، والانتظار إلى تمامِ الدفن، وفي ذلك ثوابٌ للمشيّع، لحديث: **"إن أولَ ما يُجازَى به المؤمنُ بعدَ موتهِ أن يُغفَرَ لجميعِ من تبعَ جنازته"**. رواه عبد بن حميد والبزار والبيهقي عن ابن عباس[1].

ومن شيَّعها إلى المصلَّى فقط فله قيراطٌ من الأجر، ومن شيَّعها إلى القبرِ عاد بقيراطينِ من الأجر، كلُّ قيراطٍ قدرُ جبلِ أُحد، بهذا وردَ الحديثُ الشريف[2]، والله أعلمُ بالمرادِ من ذلك القيراطِ والقيراطين.

والمشيُ خلفها بأنْ تكونَ أمامهُ ونصبَ عينيهِ أفضل، لما فيه من الاتّعاظِ والاعتبار، بخلافِ ما إذا كانت خلفَهُ وهو أمامها، ومن يغبْ عن العينِ يُسلهِ القلب، فضلاً عن أنْ يكونَ له اتّعاظ واعتبار.

وينبغي أنْ يكونَ التشييعُ خالصاً لوجهِ الله تعالى، ورعايةً لما بين المشيّع والمشيَّع من الحقوق، لا أن يكونَ لأجلِ وجوهِ أهلِ الميت، أو من أجلِ أن الميتَ وجيهٌ في قومه، كلا، فإنه من شيَّعَ لأجلِ الرياءِ أو النفاقِ فلا ثوابَ له في تشييعه.

وينبغي الصمتُ والاعتبارُ في حالِ التشييع، فلا يتكلمُ بهُجرِ القولِ أو منكره[3]، فإن الميتَ يسمعُ كلامَ من يتكلمُ بخيرٍ أو شر، كما أنه يعرفُ من يغسلهُ ومن يحملهُ ومن يدليهِ في قبره، ويسمعُ خفقَ نعالِ المشيّعينَ إذا ولَّوا عنه منصرفينَ بعد الدفن.

روى هذا الإمامُ أحمدُ عن أبي سعيد الخدري، والطبرانيُّ عن ابن عباس[4].

ويتبعُ الميتَ ثلاثة: أهله، وماله، وعمله. فأما مالهُ فيفارقهُ من لدن احتملوه، وأما أهلهُ فيرجعونَ بعدَ دفنه، ويبقى هو وعملهُ في قبره[5].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٩٢٥٨)، وضعفه لهم في ضعيف الجامع الصغير (١٨٢٣).

(٢) قوله ﷺ من حديث ثوبان: "من صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان. القيراط مثل جبل أحد". صحيح مسلم (٩٤٦).

(٣) الهُجر: الهذيان والقبيح من القول.

(٤) سبق حديث أحمد "إن الميت يعرف من يحمله "وأنه ضعيف، وحديث الطبراني في المعجم الكبير (١١١٣٥): "إن الميت إذا دفن سمع خفق نعالهم إذا ولو عنه منصرفين" وصححه له في صحيح الجامع الصغير (١٩٦٧).

(٥) هذا أصله حديث أنس: "يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد. يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجعُ أهله وماله، ويبقى عمله". صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٠).

وقد وكَّلَ الله بمن يتبعُ الجنازةَ إذا رجعوا من دفنها، أن يأخذَ كفًّا من ترابٍ ويرمي به في وجوههم، قائلاً لهم: ارجعوا، أنساكم اللهُ موتاكم. فيرجعونَ وقد خفَّ حزنهم على ميتهم إلى أكلهم وشربهم وضحكهم، وبيعهم وشرائهم، كأنْ لم يكونوا منه ولم يكنْ منهم.

حمل الجنازة

تُحمَلُ الجنازةُ في البلادِ الإسلامية غيرِ المتفرنجة على نعشٍ يحملهُ أربعةٌ على أكتافهم بالمناوبة، كلُّ مشيّعٍ يحملُ بقدرِ ما يمكنهُ الحمل. وكيفيةُ الحملِ أن يضعَ مقدَّمَ النعشِ على كتفهِ اليمنى، ثم يؤخِّرَهُ، ثم مقدّمهُ على كتفهِ اليسرى، ثم مؤخِّرهُ. وفي بعضِ البلاد يحملُ الجنازةَ ثلاثة، اثنانِ يحملانها من مقدَّميها الأيمنِ والأيسر، وواحدٌ يحملها من خلفها.

والمطلوبُ من التشييعِ الحمل، وفيه ثوابٌ للحاملِ وحطٌّ من أوزاره.

إلا أنه في البلادِ الكبيرةِ المتفرنجةِ يحملُ الميّتَ أشخاصٌ مخصوصونَ بأجرةٍ يأخذونها من أهلِ الميّتِ يتعاقبونَ حملها فيما بينهم، كأنَّ كلَّ واحدٍ منهم حمّالٌ يحملُ شيئاً ليوصلهُ إلى محلِّهِ المخصوص، فلذلك يفوتُ المشيّعينَ سنَّةُ الحملِ بالميتِ ولو قليلاً، بل المشيّعُ يستنكفُ من الحملِ لئلا يظنَّ به أنه من المستأجرينَ لحملِ الميت، ومن رغبَ بحملِ الميّت من أحدِ جوانبِ النعشِ لا يمتنعُ عليه الحاملُ المستأجر، بل يكونُ ممنونًا، لما في حملِ غيره عنه من التخفيفِ عليه، لكن قد يبتعدُ عن ذلك الحاملُ الطالبُ للثواب، فيبقَى حاملاً بالنعشِ مدَّةً طويلةً يتعبُ من طولها، ولا يجدُ من يبادلهُ الحمل، وقد يتركُ ذلك الجانبَ الذي كان يحملهُ فتختلُّ[1] موازنةُ الحاملين، وإنما كان الحملُ بواسطةِ أناسٍ مخصوصينَ يُستأجرونَ لحملِ الميّتِ بسببِ بُعدِ المقابرِ عن البلد، وقلَّةِ من يُشيّع، سيَّما إذا كان الميّتُ فقيراً، أو خاملاً غيرَ مشهورٍ عند[2] الناس، فقد لا يوجدُ من يحملُ جنازته.

وقد أخذَ بعضُ الناسِ في البلادِ الكبيرةِ المتفرنجةِ يحملونَ موتاهم على عرباتٍ مخصوصة، ويتبعُها المشيّعونَ ركباناً، كما هو الحالُ في تشييعِ جنائزِ غيرِ المسلمين، وكثرَ في ذلك السؤالُ عن جوازهِ أو عدمِ جوازه، فمن قائلٍ بعدمِ الجوازِ مطلقاً، سواءً أكانَ لضرورةٍ أو عدمِ ضرورة، لما فيه من التشبُّهِ بالكفّارِ المنهيِّ

(١) في الأصل: فيختل.

(٢) في الأصل: عنه.

عنه حتى في الأمورِ الاعتيادية، وفواتِ ثوابِ الحملِ بها، ومن قائلٍ بالجواز، لعدمِ ورودِ نصٍّ عن الشارعِ الحكيم في حمله.

نعم، يُشترطُ أن لا يكونَ في حملهِ امتهانٌ له أو تحقير، وليسَ في حملهِ على العربةِ شيءٌ من ذلك، ولضرورةِ بُعدِ المقابرِ عن العمران، وما يترتَّبُ على حملهِ على الأكتافِ وتشييعهِ ماشياً من التعب، لبُعدِ الشقَّة، وتحمُّلِ أعباءِ الحرِّ أو البردِ أو المطر، مع ما فيهِ من إضاعةِ الوقتِ الطويلِ المانعِ من رؤيةِ المصالحِ اللازمة، وهذا القولُ بالجوازِ هو الموافقُ المقبول، لا سيَّما أن الأعمالَ بمقاصدها.

نعم، إن في حملهِ على العربةِ تضييعاً لثوابِ تبادلِ حملهِ على الأكتاف، ولكنَّ الحقَّ أنه إن كانتِ المسافةُ بين البلدِ والمقابرِ قصيرة، وليس في وقتِ التشييعِ كلفةٌ من بردٍ أو حرٍّ أو مطر، فلازمٌ تشييعهُ على الوجه المتعارفِ عليه في جميعِ بلادِ المسلمين، وهو المشيُ والحملُ على الأكتاف، وإلا فالضرورةُ توجبُ حملهُ في العربة، وتشييعهُ ركباناً ومشاة، وثوابُ الأعمالِ بحسبِ النيَّات.

الصلاة على الجنازة

الصلاةُ على الجنازةِ فرضُ كفاية، إذا قامَ بها بعضُ المسلمينَ سقطَ إثمُ تركِ الصلاةِ عليها عمَّن لم يصلِّها، وهي أربعُ تكبيرات، بثناءٍ على الله تعالى بعدَ التكبيرةِ الأولى، وصلاةٍ على النبيّ ﷺ بعد الثانية، ودعاءٍ للميِّتِ بعد الثالثة، وسلامٍ بعدا لرابعة.

وينوي المصلي الصلاةَ لله، والدعاءَ للميِّت، ولا يرفعُ يديهِ إلا في التكبيرةِ الأولى فقط[1]، ولا يهزُّ رأسهُ لأمامٍ وخلفٍ عند التكبيراتِ الثانيةِ والثالثةِ والرابعة، ويدعو للميِّت بما فيه طلبُ الخيرِ الأخرويِّ له، من نحوِ المغفرةِ والرحمةِ والعفوِ، والتثبيتِ له عند سؤالِ الملَكينِ في القبر، ووقايتهِ من فتنةِ القبرِ وعذابه.

وإن كان الميِّتُ صغيراً غيرَ مكلَّف، يقولُ في الدعاءِ له: اللهم اجعلهُ فَرَطاً لأبويهِ، وسلفاً وذُخراً، وعظةً واعتباراً، وشفيعاً، وثقِّلْ به موازينَهما، وأفرغِ الصبرَ على قلوبهما، ولا تفتنْهما بعده، ولا تحرمْنا أجره.

ويندبُ تكثيرُ الصفوفِ في صلاةِ الجنازة، والصلاةُ في الصفِّ الأخيرِ منها أفضل[2]، وقد وردَ في

(١) المؤلف يورد الحكم على المذهب الحنفي. ينظر بدائع الصنائع ١/٣١٤.

(٢) وهذا عند الحنفية أيضاً، كما أشرنا، والحكمة منه: إظهار التواضع، لأنهم شفعاء... ينظر حاشية ابن عابدين ١/

الحديثِ الشريف: **"من صلَّى عليهِ مئةٌ من المسلمينَ غُفِرَ له"**. رواه ابن ماجه عن أبي هريرة[1].

التعجيل بالدفن وما يلزم فيه

ينبغي التعجيلُ والإسراعُ في تجهيزِ الميّتِ ودفنه، فإنَّ ذلك من إكرامِ الحيِّ له، ولما فيه من السترِ عليه، لاحتمالِ حصولِ تشوُّهٍ منه، أو تغيُّرُ رائحة، ولما فيه من تخفيفِ الحزنِ عليهِ من قبلِ أهله، وتهدئةِ الاضطرابِ الحاصل، فإنَّ الميّتَ ما لم يُدفنْ لا يستقرُّ حالُ أهلِ بيته.

وثمَّ شيءٌ آخرُ يتعلَّقُ بالميّت، وهو ما وردَ في الحديثِ الشريف: **"أسرعوا بالجنازة، فإن تكُ صالحةً فخيرٌ تقدّمونَها عليه، وإن تكُ سوى ذلك فشرٌّ تضعونَهُ عن رقابكم"**. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد بن حنبل عن أبي هريرة[2].

ويندبُ لمن رأى جنازةً أن يقومَ لها مطلقاً حتى تتوارَى عن عينيه، فإنه لا يقومُ لها، بل للملائكةِ التي معها.

وإذا وصلَ المشيّعونَ للجنازةِ بها إلى القبرِ أُدليتْ فيه والناسُ وقوف.

وينبغي أن يُطلبَ له من الحاضرينَ الثناءُ عليه بالخير، من غيرْ تأبينٍ ولا تعدادٍ لمناقبه، بأنْ يُقال: رحمهُ الله تعالى فإنه كان عبداً صالحاً، وليسَ في ذلكَ مانع، ولا يُقالُ إنه شهادةُ زُور، لأنَّ[3] أقلَّ ما فيهِ أنه كان مسلماً، وكفى بالإسلامِ صلاحاً؛ لحديث: **"ما من مسلمٍ يشهدُ له ثلاثةٌ إلا وجبتْ له الجنة"**[4].

وينبغي الترَيُّثُ بالانصرافِ وقتَ الدفن، والدعاءُ له بالتثبيت، فإنه يُسألُ في قبره عقبَ الدفن. ويقولُ

.٥٧٠

(١) سنن ابن ماجه (١٤٨٨)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٦٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣١٥)، صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٩٤٤)، سنن أبي داود (٣١٨١)، سنن الترمذي (١٠١٥) وقال: حديث حسن صحيح، سنن النسائي (١٩١٠)، سنن ابن ماجه (١٤٧٧)، مسند أحمد (٧٢٦٥). وهو أقرب إلى لفظ أبي داود. وصححه لهم في صحيح الجامع الصغير (٩٦٤).

(٣) في الأصل: لأنه.

(٤) رواه الترمذي في سننه (١٠٥٩) وقال: حديث حسن صحيح، صحيح الجامع الصغير (٥٧٥٩).

المنتظرون: اللهمَّ إن هذا عبدك، وأنتَ أعلمُ به منا، ولا نعلمُ به إلا خيراً، وقد أجلستَهُ لتسأله، فنسألُكَ اللهم أن تثبّتَهُ بالقولِ الثابتِ في الآخرةِ كما ثبَّتهُ في الدنيا، اللهمَّ أجِرْهُ من الشيطان، ومن عذابِ القبر، وثبّتْ عندَ المسألةِ منطقه، وافتحْ أبوابَ السماءِ لروحه، اللهمَّ ارحمه، وألحقهُ بنبيّهِ محمد ﷺ ولا تضلَّنا بعده، ولا تحرمْنا أجره.

تلقين الميت

يستحبُّ تلقينُ الميّتِ بعد الفراغِ من دفنهِ وتسويةِ الترابِ عليه، فقد وردَ في الحديث: **"إذا ماتَ أحدكم، وسوَّيتمْ عليه التراب، فليقمْ أحدكمْ على رأسِ قبرِهِ ثم ليقل: يا فلان، يا ابن فلانة، فإنه يسمعُ ولا يُجيب، ثم ليقل: يا فلان، يا ابنَ فلانة، فإنه يسمعُ ولا يُجيب، ثم ليقل: يا فلان، يا ابنَ فلانة، فإنه في الثالثةِ يقول:نعم، أرشدنا رحمكَ الله ولكنكم لا تسمعون، ثم ليقل: اذكرْ العهدَ الذي خرجتَ عليه من دارِ الدنيا وقدمتَ به على مولاكَ عزَّ وجلَّ، وهو شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله، وأن الجنةَ حقّ، وأن النارَ حقّ، وأن البعثَ حقّ، وأن الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأن الله يبعثُ مَنْ في القبور، وأنكَ رضيتَ بالله رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّاً ورسولاً، وبالقرآنِ إماماً، وبالكعبةِ قبلة، وبالمؤمنينَ إخواناً، فإذا جاءكَ الملَكانِ الشفيقانِ الرفيقانِ عليهما من الله السلام، وأجلساكَ وسألاك، فقالا لك: من ربُّك، وما دينك، ومن نبيُّك، وما الذي متَّ عليه؟ فقلْ لهما بلا خوفٍ منهما ولا فزع: الله ربّي حقًّا، ومحمدٌ نبيّي صدقاً، والصلاةُ فريضتي، والكعبةُ قبلتي، والقرآنُ إمامي، والمسلمونَ والمسلماتُ إخوتي وأخواتي، وأنا وأنتما على شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله. يا فلان، يا ابنَ فلانة، لا تخفْ ولا تحزن، لقَّنكَ الله حجَّتك، وبيَّضَ صحيفتك، وأكرمَ مثواكَ لديه ونُزلك، وأنزلكَ مُنزلاً مباركاً وهو خيرُ المنزلين. {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ}**[1].

وتتمةُ حديثِ التلقين، **أن منكراً ونكيراً يأخذُ كلُّ واحدٍ منهما بيدِ صاحبهِ ويقول: انطلقْ بنا، ما يقعدنا عندَ هذا وقد لُقِّنَ حجَّته؟ فإن لم يعرفْ اسمَ أمِّهِ ينسبهُ إلى أمِّهِ حوّاء.** ا. هـ[2].

---

(١) سورة طه، الآية ٥٥.

(٢) ملخصه في المعجم الكبير للطبراني (٧٩٧٩) من حديث أبي أمامة الباهلي، قال الحافظ الهيثمي: وفيه من لم أعرفه

وإنما خُصَّ بنسبتهِ لأمّهِ دونَ أبيهِ في هذا الموطن، لأنه محقَّقٌ قطعاً، إذ كلُّ ولدٍ ابنُ أمّهِ، وقد يكونُ في نسبتهِ لأبيهِ شكٌّ أو شبهة، بأن تخونَ الزوجةُ زوجَها فتحملُ من غيرهِ وهي على عصمةِ نكاحه، فالولدُ بحسبِ الظاهرِ ابنهُ من زوجته، ولكنَّ القبرَ أولُ مواطنِ الصدق، فلا يكونُ فيه إلا ما هو حقٌّ وصدق، ولهذا كانتِ النسبةُ للأمّ دونَ الأب.

النساء والجنائز

لا علاقةَ للنساءِ بالجنائز، من حيثُ الغسلُ والتكفينُ والحملُ والتشييع، والصلاةُ عليها ودفنها، فلذلك نُهينَ عن اتّباعِ الجنائز، فقد رأى رسولُ الله ﷺ نسوةً يتبعنَ جنازةً فقال: "**هل تغسلنها؟**" قلن: لا، قال: "**هل تكفنَّها؟**" قلن: لا، قال:"**هل تحملنها؟**" قلن: لا، قال:"**هل تصلّينَ عليها؟**" قلن: لا، قال: "**هل تدفنَّها؟**" قلن: لا، قال: "**ارجعنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجورات**". رواه ابن ماجه عن علي، وأبو يعلى الموصلي عن أنس[1].

فلا ثوابَ لامرأةٍ في اتّباعِ الجنائز، لا سيَّما إذا اتَّبعنها بصراخٍ ونياحة، بل عليها الوزر، كما أنه لا ثوابَ لها أيضاً في زيارةِ القبور، كما في حديث: "**لعنَ الله زائراتِ القبور، والمتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج**". رواه أبو داود عن ابن عباس[2].

جماعة. مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٤. لكن ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أن إسناده صالح، وأن الضياء قواه في الأحكام. ينظر تلخيص الحبير ٢/ ١٣٥. وذكر الإمام النووي أن إسناده ضعيف. المجموع ٥/ ٢٦٥، وكذا قال الحافظ العراقي إنه ضعيف. المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٧١٣.

(١) سنن ابن ماجه (١٥٧٨)، مسند أبي يعلى (٤٢٨٤) وقال محققه: إسناده ضعيف، كما ضعفه لهما في ضعيف الجامع الصغير (٧٧٣). وفي النص زيادة ألفاظ غير موجودة في المصدرين السابقين وفي مصادر أخرى عديدة.

(٢) سنن أبي داود (٣٢٣٦) وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٤٦٩١) له ولآخرين، وذكر في الهامش أنه صحت عن غيره الجملة الأولى والثانية نحوه، وأحال إلى صحيح الجامع.

إدراك الميت وكلامه

قلنا فيما تقدَّمَ أن العقلَ لا يتغيَّرُ بالموت، وإنما يتغيَّرُ البدنُ والأعضاء، فلهذا يدركُ الميّتُ ولو كان طفلاً صغيراً الآلامَ واللذاتِ ولو تناثرتْ أعضاؤه، وأنهُ يعلمُ ما يكونُ في أهلهِ من بعده، حيثُ تُعرَضُ أعمالُ الأحياءِ على موتاهم في كلِّ يومِ جمعة، فيفرحونَ بأعمالِ الأحياءِ الصالحة، وتزدادُ وجوههم بياضاً وإشراقاً بها، ويحزنونَ للأعمالِ الفاجرةِ التي تكونُ منهم، ويقولون: يا مغرور، لو تعلمُ ما أنتَ صائرٌ إليه لكان لكَ فيه أكبرُ رادعٍ عن فجورك.

فليتَّقِ اللهَ العبدُ ولا يؤذِ موتاهُ بقبيحِ أعماله، ففي الحديثِ الشريف: **"لا تفضحوا أمواتكم بسيّئاتِ أعمالكم"**. رواه الديلمي عن أبي هريرة[1].

وفي حديث آخر: **" إن الميّتَ يؤذيهِ في قبرهِ ما كانَ يؤذيهِ في بيته"**[2].

ومن أجلِ ذلك تندبُ زيارةُ القبورِ ليلةَ الجمعةِ ويومها، لما يحصلُ للأمواتِ من الكشف، فيرونَ زائريهم كما هي حالتهم الظاهرة، وإن الميّتَ لينظرُ إلى أهلهِ وهو يُغسَلُ ويُكفَن، ويعرفُ من يغسلهُ ومن يكفنهُ ومن يدفنه، ويسمعُ كلامَ من يتكلَّمُ بخيرٍ أو شرّ، ويسمعُ خفقَ نعالهم إذا انصرفوا عنهُ بعد الدفن، وفي الحديثِ الشريف: **"إذا وُضعتِ الجنازةُ واحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانتْ صالحةً قالت: قدّموني قدّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا ويلها! أين يذهبونَ بها؟ يسمعُ صوتها كلُّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعها لصَعِق"**. رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري[3].

وتنادي: يا أهلي، يا أولادي، لا تلعبنَّ بكمُ الدنيا كما لعبتْ بي، جمعتُ المالَ من حلِّهِ وحرامه، فالمهنأةُ لكم، والتبعةُ عليّ، فاحذروا مثل ما حلَّ بي.

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب (٧٣٥٧) وفيه (موتاكم) وليس (أمواتكم). وذكر الحافظ العراقي أنه أخرجه ابن أبي الدنيا والمحاملي بإسناد ضعيف. المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٧٢٠. كما نقل ضعفه في الفوائد المجموعة (١٩٥) ودون ذكر مخرجه.

(٢) قال أبو حاتم الرازي: حديث منكر. العلل لابن أبي حاتم الرازي رقم (١١٠٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٨٠) وعدَّلتُ فيه بعض الألفاظ من الصحيح.

كلام النعش أو التابوت

ما كان الله ليعجزهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، فإن القادرَ على أن يجعلَ ذلك الجسمَ الصغير الجَرم، العظيمَ الجرُم –وهو اللسان– قادراً على الكلام، وإنْ هو إلا قطعةُ لحم، قادرٌ على أن يخلقَ قوةَ الكلامِ بغيرهِ من الأجسام. كيفَ وأن الله تعالى يقول: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}(١)، والتسبيحُ نوعٌ الكلام، وقد أسندَهُ الله تعالى إلى كلِّ شيء، لأن النكرةَ في سياقِ النفي تعمُّ كلَّ ما عداها، والشيءُ هو الموجود، وهو الملائكةُ والإنسانُ والحيوانُ والنباتُ والجماد، فلا يبعدُ أن يكونَ في النعشِ، أي التابوت، قوةُ الكلام، وإن كنا لا نسمعُ ما يقول، فقد قيلَ عنه إنه يقولُ خطاباً لكلِّ إنسان:

انظرْ إليَّ بعقلكْ أنا المهيَّأ لنقلكْ
أنا سريرُ المنايا كم سارَ مثلي بمثلكْ

وكثيرٌ من الموجوداتِ ثابتةُ الوجود، كالجراثيمِ والذرَّات، ونحن لا نراها بأبصارنا، لعدمِ قدرتنا على رؤيتها. وتأمَّلْ قول الله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}(٢). فأثبتَ الله تعالى قربهُ من ذلك المحتَضَر، ونفى عمَّنْ حولهُ قدرةَ رؤيتهم، فقال: {وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}. والإبصار: هو رؤيةُ كلِّ ما يمكنُ أن يُرى بالبصر.

قضاء الدَّين

هذا أهمُّ ما يجبُ فعلهُ بعد تجهيزِ الميّتِ ودفنهِ بالمعروف، وهو مقدَّمٌ على الوصيَّة، لأنهُ حقٌّ ثابتٌ في الذمَّة، والوصيَّةُ صدقة، والحقُّ مقدَّمٌ على الصدقة. وينبغي للإنسانِ أن يتوقَّى من الدَّينِ في حياتهِ بغايةِ جهده، مخافةَ أن لا يقدرَ على وفائه، فيرى سوءَ عاقبتهِ بعد موته. وفي الأمثالِ الحكمية:

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

(٢) سورة الواقعة، الآيات ٨٣–٨٥.

صبرُ الفتى على اشتهاءِ بطنهِ ولا اصطبارَ دائنٍ لدينهِ

إلا ما لا بدَّ منه فيستدينُ بقدره، ولذلكَ يُقال: من استدانَ الخبزَ فارحموه؛ ومن استدانَ غيرهُ فارجموه.

والدَّينُ من حيثُ هو كما جاءَ في الحديثِ الشريف: **"الدَّينُ شَينُ الدِّين"**. رواه أبو نعيم عن معاذ[1].

وفي حديث آخر: **"الدَّينُ همٌّ في الليل، ومذلَّةٌ في النهار"**. رواه الديلمي عن عائشة[2].

وفي حديث آخر: **"الدَّينُ رايةُ اللهِ في الأرض، فإذا أرادَ أن يُذِلَّ عبداً وضعها في عنقه"**. رواه الحاكم عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما[3].

والرايةُ هي الغلّ، واحدُ الأغلال، يوضعُ في العنق.

فإذا ماتَ الميّتُ وعليه دَينٌ وجبَ على أهلهِ بعد تجهيزهِ ودفنهِ بالمعروف، وقبلَ تنفيذِ شيءٍ من وصيَّتهِ وتقسيمِ ميراثهِ بينهم، أن يقضوا ما عليه من دَين، فإن قضاءَ دَينهِ مقدَّمٌ على كلِّ شيءٍ بعد تجهيزهِ ودفنه، وواجبٌ على الحيِّ المَدين أن يبذلَ جهدهُ بوفاءِ دَينه في حياته، وأن يوصيَ بقضائهِ من بعدهِ إذا لم يتمكَّنْ من قضائهِ في حياته، ففي الحديثِ الشريف: **"نفسُ المؤمنِ معلَّقةٌ بدَينهِ حتى يُقضَى عنه"**. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبّان والحاكم عن أبي هريرة[4].

وفي حديث آخر: **"القتلُ في سبيلِ الله يكفِّرُ كلَّ خطيئةٍ إلا الدَّين"**. رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو، والترمذي عن أنس[5].

وفي حديث آخر: **"صاحبُ الدَّين مأسورٌ بدَينهِ في قبره، يشكو إلى الله الوحدة"**. رواه الطبراني وابن

---

(١) رواه أبو نعيم في "المعرفة" عن مالك بن يخامر، والقضاعي عن معاذ، كما في ضعيف الجامع الصغير (٣٠٣٢) الذي ضعف الحديث فيه. وهو في مسند الشهاب (٣١).

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب (٣١٠٠)، وقال في ضعيف الجامع (٣٠٣٣): ضعيف جداً.

(٣) المستدرك على الصحيحين (٢٢١٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ولكن في سنده بشر بن عبيد الدارسي، ولذلك استدرك الذهبي على تخريج الحاكم بقوله: بشرر واه. وقال في ضعيف الجامع (٣٠٣٣): ضعيف جداً.

(٤) سنن ابن ماجه (٢٤١٣)، سنن الترمذي (١٠٧٩) وقال: حديث حسن، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٠٦١)، المستدرك على الصحيحين (٢٢١٩) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه في صحيح الجامع الصغير (٦٧٧٩).

(٥) صحيح مسلم (١٨٨٦)، سنن الترمذي (١٦٤٠)، صحيح الجامع (٤٤٤٠).

النجار عن البراء بن عازب[1].

وفي حديث آخر: "**صاحبُ الدَّين مغلولٌ في قبره، لا يفكُّه إلا قضاءُ دَينه**". رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري[2].

وفي حديث آخر: "**والذي نفسي بيده، لو قُتِلَ رجلٌ في سبيلِ الله، ثم عاش، ثم قُتل، ثم عاش، ثم قُتلَ، وعليه دَين، ما دخلَ الجنةَ حتى يُقضى دَينه**". رواه النسائي والحاكم والطبراني عن محمد بن عبدالله بن جحش[3].

وكان رسولُ الله ﷺ إذا أُتيَ بالجنازةِ ليصليَ عليها لم يسألْ عن عمله، وإنما يسألُ عن دَينه، فإن قيل: عليه دَيْنٌ لم يصلِّ عليه، وإن قيل: ليس عليه دَينٌ صلَّى عليه[4].

الوصية

الوصيَّةُ حقٌّ واجبٌ على كلِّ مسلم، سواءٌ أكانَ له شيءٌ من متاعِ الدنيا يوصي بشيءٍ منه أم لم يكن، فإن كان له يوصي إلى حدِّ الثلثِ منه فقط، ولا يزيدُ عليه، فإن زادَ عليه لا ينفذُ إلا إذا أقرَّه الورثة. وإن لم يكنْ له يوصي بنهي أهلهِ عن أن يرتكبوا محرَّماً أو مكروهاً عند وقوعِ وفاته، من صراخٍ وعويلٍ ونياحةٍ واجتماعٍ لمأتم، ونعيهِ بالتأبينِ والتعظيمِ له، وتشييعِ جنازتهِ بالأصوات، من ذكرٍ أو لهوٍ وغيرِ ذلك من المنكراتِ التي نهى الشرعُ عنها، وذكرنا بعضها في كتابنا هذا. فوصيَّتهُ بثلثِ ماله، أو إلى الثلثِ منه حقُّه، وله أن يتصرَّفَ بحقِّهِ كيفَ يشاء.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٩٧)، وهو ضعيف. ضعيف الجامع (٣٤٥٧).

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب (٣٧٨٨)، وضعفه في ضعيف الجامع (٣٤٥٨).

(٣) المستدرك على الصحيحين (٢٢١٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، السنن الكبرى للنسائي (٦٢٨١)، المعجم الكبير للطبراني (٥٥٩). وحسَّنه في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٤) (نقلاً من موقع الدرر السنية). ولفظه من الترغيب ٢/٦٠٠.

(٤) الحديث في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٠٥٧) وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي ورجاله ثقات. المستدرك على الصحيحين (١٣٤٨) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، مسند أحمد (٢٢٦٠٨)، وصحح الشيخ شعيب إسناده كذلك.

وقد جاءَ في الحديث الشريف: **"إن الله تصدَّقَ عليكم بثلثِ أموالكم"**[1].

والأحسنُ أن ينفِّذَ وصيَّتهُ في حياته، ويفرّقها بمعرفتهِ على وجوهِ الخيرِ التي أوصَى إليها مما ليس فيه محرَّمٌ ولا مكروه.

وليسَ من صفاتِ المسلمِ أن يكونَ شحيحاً مسِّيكاً في حياته، حتى إذا نزلَ به الموتُ قال: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، بل من صفاتهِ الحسنةِ أن يتصدَّقَ في حياتهِ وهو قويٌّ متماسك، يرجو الغنى ويخشى الفقر، فذلك ثوابهُ أعظم، وخيرهُ أعمّ، فإذا لم يوفَّقْ لذلك فلا أقلَّ من أن يوصيَ لما بعد موته. ففي الحديثِ الشريف: **"الوصيةُ حقٌّ على كلِّ مسلم"**[2].

وفي حديث آخر: **"من ماتَ على وصيَّةٍ ماتَ على الإيمان"**[3].

وفي حديثٍ آخر: **"ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي به فيبيتُ ليلتينِ إلاّ ووصيَّتهُ مكتوبةٌ عنده"**. رواه الإمام مالك وأحمد بن حنبل والستة عن ابن عمر[4].

وفي حديث آخر: **"من لم يوصِ لم يؤذَنْ له في الكلامِ مع الموتَى"**. رواه أبو الشيخ عن قيس[5].

نعيم القبر وعذابه، وضغطه وكلامه

وردَ في الحديث الشريف: **"أن القبرَ إمّا روضةٌ من رياضِ الجنة، أو حفرةٌ من حفرِ النار"**[1]، وأنه أولُ

---

(١) تتمته: "عند وفاتكم"، كما في مسند أحمد (٢٧٥٢٢) من حديث أبي الدرداء، الذي ضعف إسناده الشيخ شعيب، كما رواه ابن ماجه (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة، وحسَّنه في صحيح الجامع الصغير (١٧٣٣).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس من حديث عامر بن سعد (٧٢٥٩) ولم أقف على سنده، وعامر تابعي، فالحديث مرسل.

(٣) الذي وقفت عليه بلفظ "من مات على وصية مات على سبيلٍ وسنته، ومات على تُقى وشهادة، ومات مغفوراً له". سنن ابن ماجه (٢٧٠١) وضعفه في ضعيف الجامع (٥٨٤٨).

(٤) موطأ مالك (١٤٥٣)، مسند أحم (٥١١٨)، صحيح البخاري، كتاب الوصايا (٢٧٣٨)، صحيح مسلم (١٦٢٧)، سنن أبي داود (٢٨٦٢)، سنن الترمذي (٩٧٤) وقال: حديث حسن صحيح، سنن النسائي (٣٦١٥)، سنن ابن ماجه (٢٤٩٩).

(٥) ضعف له في ضعيف الجامع الصغير (٥٨٤٧).

منزلٍ من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعدَهُ أيسرُ منه، وإنْ لم ينجُ فما بعدَهُ أشدُّ منه[٢]، ونعيمهُ وعذابهُ حقٌّ ثابت، والإيمانُ بهما واجب.

وعامَّةُ عذابِ القبرِ من النميمةِ وعدمِ الاستبراءِ من البول، فقد جاءَ في الحديثِ الشريف: **أن النبيَّ ﷺ مرَّ بقبرين فقال: "إنهما ليُعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير، بلى إنه كبير، أمّا أحدُهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخرُ فكان لا يستبرئُ من البول"**. رواه البخاري ومسلم[٣].

وللقبرِ ضعظةٌ لا ينجو منها أحدٌ مطلقاً، سواءٌ أكانَ صغيراً أم كبيراً، مسلماً أم كافراً، حتى مَنْ كانَ في بطونِ السباعِ وحواصلِ الطيور، ومن حُرقَ وذُريَ في الريح، فتحسُّ كلُّ ذرَّةٍ منه بالألم، فقد وردَ في الحديث الشريف: **"لو أُفْلِتَ أحدٌ من ضمَّةِ القبرِ لأُفْلِتَ هذا الصبي"**. رواه الطبراني عن أبي أيوب[٤].

وفي حديث آخر: **"لو نجا أحدٌ من ضمَّةِ القبر لنجا سعدُ بنُ معاذ، الذي اهتزَّ عرشُ الرحمن لموته، ولقد ضُمَّ ضمَّةً ثم رُوخيَ عنه"**. رواه الطبراني عن ابن عباس، ومسلم وأحمد بن حنبل وابن ماجه والترمذي عن جابر[٥].

وإنما يختلفُ الضمُّ والضغطُ بحسبِ حالِ المتوفَّى رفقاً وشدَّة، وقد ورد في الحديثِ الشريف، **أن من قرأ في مرضِ موتهِ سورةَ الإخلاصِ مائةَ مرَّةٍ ينجو منها**[٦].

ويكلِّمُ القبرُ مَنْ حلَّ فيه، فقد ورد: **"إن العبدَ الصالحَ إذا وُضِعَ في القبرِ قالَ له القبر: مرحباً بك وأهلاً، أما إنك كنتَ أحبَّ من يمشي على ظهري، فالآنَ إذ آويتُكَ وصرتَ إليّ، فسترَى صنعي بك. ويتَّسعُ له مدَّ بصره، ويُفتحُ له بابٌ إلى الجنة، ويضغطُ عليه برفق.**

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي في السنن (٢٤٦٠) وقال: حديث حسن غريب، وذكر الحافظ العراقي أن في سنده عبيدالله بن الوليد الوصافي وأنه ضعيف. المغني عن الأسفار ١/ ٤٥٤، كما ضعفه له في ضعيف الجامع (١٢٣١).

(٢) حديث أوله: "إن القبر أول منازل الآخرة" رواه الترمذي من حديث عثمان (٢٣٠٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٦٧)، والحاكم في المستدرك (٧٩٤٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه في صحيح الجامع الصغير (١٦٨٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٧٨)، صحيح مسلم (٢٩٢). واللفظ للأول، إلا أنه "بلى، أما أحدهما...".

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٣٨٥٨) من حديث أبي أيوب، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٥٢٣٨).

(٥) المعجم الكبير (١٠٨٢٧) وصححه له في صحيح الجامع (٥٣٠٦) وهو حتى قوله "ثم رخي عنه". ولم أجد تتمته في المصادر الأخرى التي ذكرها المؤلف، وقد تكون الزيادة موضوعة. ينظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢/٤٠٧، اللآلئ المصنوعة ٢/٣٦١، زيادة عما ذكر، ومن رواية سعد بن عامر عن أبيه، فيحرَّر.

(٦) لم أجده، ولا يشبه الأحاديث الصحيحة.

وإذا كان كافراً أو فاجراً قال له: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما إنك كنتَ أبغضَ من يمشي على ظهري، كيف نسيتني؟ أما علمتَ أني بيتُ الدود، وبيتُ الوحشةِ والوحدة، وبيتُ الظلمة والحزن، فما الذي غرَّك بي؟ فأمّا إذ آويتكَ اليومَ وصرتَ إليَّ، فسترَى صنعي بك. ويلتئمُ عليه حتى تختلفَ أضلاعه، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النار، فيدخلُ عليه من حرّها وسمومها"[1].

وروى ابنُ أبي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **"يسلِّطُ الله على الكافرِ في قبرِهِ تسعةً وتسعين تنّيناً، تنهشهُ وتلدغهُ حتى تقومَ الساعة، لو أن تنّيناً منها نفخَ في الأرضِ ما أنبتتْ خضراء"** ا. هـ[2].

والتنّين بوزنِ سجّين: أكبرُ الثعابين. وحكمةُ هذا العدد أنه كفرٌ بأسماءِ الله الحسنى، وهي تسعةٌ وتسعونَ اسماً.

أحوال العبد في القبر

وردَ في الأحاديثِ الشريفة، **أن الميّتَ إذا وُضِعَ في قبره، جاءتْ أعمالهُ الصالحة، من صلاة، وصيام، وصدقة، وزكاة، وحجّ، وعمرة، فاحتوشتهُ وصانتهُ من ملائكةِ العذاب، فتقولُ له الملائكةُ عند ذلك: بارك الله لكَ في مضجعك، فنعمَ الأخلّاءُ أخلّاؤك، ونعمَ الأصحابُ أصحابك. ثم يدخلُ عليه ملَكٌ اسمهُ رومان، فيناديه: يا عبدَ الله، اكتبْ عملك، فيقول: ليسَ معي دواةٌ ولا قلمٌ ولا قرطاس، فيقولُ له: كفنكَ قرطاسك، ومدادكَ ريقك، وأصبعكَ قلمك. ويقطعُ له قطعةً من كفنه، ثم يجعلُ العبدُ يكتب، ولو كان في الدنيا غيرَ كاتب، ويذكرُ حسناتهِ وسيّئاته، كأنهُ عملَ ذلكَ كلَّهُ في يومٍ واحد، ثم يطوي الملَكُ القطعةَ ويعلّقها في عنقه، وهذا معنى قوله تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}**[3]. **فإذا فرغَ**

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) وقال: حديث حسن غريب، وضعفه في ضعيف الجامع (١٢٣١). وفيه اختلاف ألفاظ.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٣٤١٨٧). ولم أره في سنن ابن ماجه، ولكنه في سنن الترمذي (٢٤٦٠) تتمة للحديث السابق، وفيه (سبعين تنيناً). وفي مسند ابن أبي شيبة: دراج، سمع أبا الهيثم. ودراج بن سمعان ضعيف كما في تحرير التقريب (١٨٢٤)، وأشير إلى أن الألباني حسَّنه في صحيح الترغيب، كما في موقع الدرر السنية.

(٣) سورةُ الإسراء، الآيتان ١٣-١٤.

من ذلك، دخلَ عليه عملهُ الصالحُ في أحسنِ صورةٍ وأطيبِ ريحٍ وأنظفِ ثياب، فيقولُ له: أنا عملُكَ الصالح، لا تحزنْ ولا توجَل، فعمّا قليلٍ يدخلُ عليك منكرٌ ونكيرٌ فيسألانكَ فلا تدهش. ثم يلقّنه حجَّته[1].

وروى البخاري ومسلم وأبو داود السجستاني وأبو داود الطيالسي والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن مردويه وابن أبي شيبة وأبو جعفر الطحاوي والطبراني والحكيم الترمذي وأبو نعيم، عن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي سعيد المقبري، وأبي بكرة، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن مسعود، وجابر بن عبدالله، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبدالرحمن بن حسنة، وعائشةَ زوجِ النبيّ ﷺ وأختها أسماءَ بنتِ أبي بكر الصديق، وأسماءَ بنتِ يزيد، وأمّ بشر، وأم خالد، كلٌّ بحسبِ ما رواهُ ومن روى عنه، وفي روايةِ كلِّ واحدٍ زيادةٌ على روايةِ غيرِهِ ونقصٌ عنه، وقد أدمجتُ رواياتهم كلَّها ووحَّدتها وجعلتها كأنَّها حديثٌ واحد[2]، والأصلُ مفصَّلٌ في شرحِ العيني صحيح البخاري ج٦ ص٢٢٣.

قال رسولُ الله: "**إنه قد أوحيَ إليَّ أنكم تُفتنَونَ في قبوركم قريباً من فتنةِ المسيحِ الدجّال، فإن الميّتَ إذا قُبِرَ رُدَّتِ الروحُ في جسده، ويجلسُ الرجلُ الصالحُ غيرَ فزعٍ ولا مشغوب**[3]**، ويمثَّلُ له عملهُ الصالحُ في هيئةِ رجلٍ حسنِ الوجه، طيّبِ الريح، حسنِ الثياب، فيقولُ له: أبشرْ بما أعدَّ الله لك، أبشرْ برضوانِ الله تعالى، وجنّاتٍ فيها نعيمٌ مقيم، فيقولُ الميّت: بشَّركَ الله بخير، من أنت، فوجهكَ الذي جاءَ بالخير، فيقولُ له عملهُ الصالح: هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعَد، وأنا عملُكَ الصالح.**

ثم يجيئهُ ملَكا القبرِ فيمتحنانهِ ويقولانِ له: ما كنتَ تعبد؟ فيقولُ إذا كان الله هداه: كنتُ أعبدُ الله، فيقولانِ له: هل رأيتَ الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحدٍ أن يرى الله، فيقولانِ له: ما علمُكَ بهذا الرجلِ (يعنيان محمداً)؟ فيقول: هو محمدٌ رسولُ الله، جاءَ بالبيناتِ والهُدى، فآمنّا به وأجبناه، واتَّبعناهُ وصدَّقناه. فيقولانِ له: قد كنّا نعلمُ أنكَ تقولُ هذا.

وتُفرَجُ له فُرجةٌ قِبَل النار، فينظرُ إليها يحطِّمُ بعضُها بعضاً، فيقولانِ له: انظرْ إلى ما وقاكَ الله. ثم تُفرجُ له فرجةٌ قِبَلَ الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها، فيقولانِ له: هذا مقعدك، فإنكَ على اليقينِ كنت،

---

(١) سئل الحافظ ابن حجر: هل يأتي الميت ملك اسمه رومان؟ فأجاب بأنه ورد بسندٍ فيه لين. ينظر تنزيه الشريعة ٢/ ٣٧٢، اللآلئ المصنوعة ٢/ ٣٦٣.

(٢) وهل هو جائزٌ هكذا؟

(٣) من الشغب، وهو الجلبة والخصام.

وعليه متّ، وعليه تُبعثُ إن شاءَ الله تعالى.

ثم يُفْسَحُ له في قبرِهِ سبعونَ ذراعاً في سبعين، وينوَّرُ له فيه، ويُقالُ له: نَمْ صالحاً، فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم، فيقولانِ له: نَمْ كنومةِ العروسِ الذي لا يوقظهُ إلا أحبُّ أهله إليه، فهو على ذلك الحالِ حتى يبعثهُ الله من مضجعه.

وأما الكافرُ أو المنافقُ أو المرتابُ (على اختلافِ الروايات) **فإنه إذا وُضِعَ في قبره، أتاهُ ملَكانِ أسودانِ أزرقان، يخرقانِ الأرضَ بأنيابهما، لهما شعورٌ مسدولةٌ يجرّانها على الأرض، أصواتُهما كالرعدِ القاصف، وأبصارُهما كالبرقِ الخاطف، ونفسهما كالريحِ العاصف، معهما مِرزَبَّةٌ** (مقمعةٌ) **من حديد، لو اجتمعَ عليها أهلُ الأرضِ ما أقلُّوها، خلقُهما لا يشبهُ خلقَ الآدميين، ولا خلقَ الملائكة، ولا خلقَ الطير، ولا خلقَ البهائم، ولا خلقَ الهوامّ، بل هما خلقٌ بديع، يُقالُ لأحدهما المنكر، وللآخر النكير، فينتهرانهِ ويُجلسانهِ فزعاً مشغوباً، فيقولانِ له: ما كنتَ تعبد؟ فيقول: لا أدري. فيقولانِ: لا دريتَ ولا تليت. ثم يقولانِ له: ما تقولُ في هذا الرجلِ (أي محمد) فيقول: لا أدري، وإنما سمعتُ الناسَ يقولونَ شيئاً فكنتُ أقولُ ما يقولون. فيضربانهِ بتلك المرزبَّة، فيصيحُ صيحةً يسمعُها الخلقُ غيرَ الثقلين (الإنس والجنّ)، ولو سمعوها لصُعقوا.**

وتُفْرَجُ له فرجةٌ قِبلَ الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها من نعيم، ويُقالُ له: انظرْ إلى ما صَرفَ الله عنك: ثم يُفْرَجُ له فرجةٌ إلى النار، فينظرُ إليها يحطِّمُ بعضُها بعضاً، فيُقالُ له: هذا مقعدك، فإنكَ على الشكِّ كنت، وعليه متّ، وعليه تُبعث. ويقولانِ للأرض: التَئمي عليه، فتلتئمُ عليه، فتختلفُ أضلاعه، فلا يزالُ في قبرِهِ معذَّباً حتى يبعثهُ الله من مضجعهِ". ا هـ. الحديث[1].

ويكونُ الإنسانُ في قبرِهِ والروحُ فيه بمقدارِ ما يسمعُ ويُجيب، من غيرِ أن يقدرَ على القيامِ والقعود، كهيأةِ الغرغرة، وقد ارتعدتْ نفسهُ من هولِ ما يرى، وصارَ الترابُ له كالماء، حيثما تحوَّلَ انفسحَ ووجدَ فيه فرجة، ومن الناسِ من يتلجلجُ في الجواب، فيجيبُ عن بعضها فقط، على حسبِ ما كانَ عليه عملهُ واعتقادهُ في الدنيا، ويعذَّبُ كلُّ فاجرٍ في قبرِهِ بمثل ما كان يخافُ منه في حياته.

ومن ماتَ قبلَ أن يبلغَ الحلم، فإنه يُعطى من العقلِ والحياةِ بقدرِ ما يُدرِكُ فيه ما يرى من نعيمِ الجنةِ وعذابِ جهنم، من غيرِ أن يُسألَ عن شيء، لأنهُ غيرُ مكلَّف، سواءٌ أكانَ من أطفالِ المسلمينَ أو من غيرِ

(١) ينظر ما قاله المؤلف من أنه مفصَّل تخريجه في شرح العيني ٦/ ٢٢٣. وما أشار إليه في صحيح البخاري فهو مختصر قليل، مثل كتاب العلم (٨٦)، صحيح مسلم (٩٠٥)، وفي مصادر أخرى زيادات كما ذكر المؤلف، مثل مسند أحمد (٢٦٩٧٠) الذي صحح إسناده الشيخ شعيب. ولم أتحرَّ جميع الروايات.

أطفالِ المسلمين.

وفي الحديثِ الشريف: **"كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرة، حتى يُعْرِبَ عنه لسانه، فأبواهُ يهوّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه"**. رواه أبو يعلى الموصلي والطبراني والبيهقي عن الأسود بن سريع[1].

وبعدَ ما يُسألُ العبدُ المؤمنُ، ويرى من النعيمِ والجحيمِ ما يرى، بحسبِ ما كانَ عليه في الدنيا من الأعمال الصالحةِ وغيرها، والقيامِ بالواجبِ عليه واجتنابِ ما نهى عنه، أو عدمِ ذلك، يتلقَّاهُ الملَكان اللذانِ كانا معه في الحياةِ الدنيا، وهما رقيبٌ وعتيد، فيقولانِ له: لا تخفْ ولا تحزن، وأبشرْ بالجنةِ التي كنتَ وُعِدْتَ بها.

ويكونُ معهُ عملهُ الصالحُ في أحسنِ صورةٍ وأطيبِ ريح، حتى يأتيَ الحساب، ثم منه إلى حيثُ أرادَ الله تعالى له بفضلهِ وكرمهِ، أو بحكمهِ وعدله.

لغةُ السؤال في القبر

قال الشيخ الباجوريُّ في حاشيته على أبي شجاع في الفقه الشافعي: سؤالُ القبرِ بأربعِ كلماتٍ سريانية، وهي: (اتره) أي: قم يا عبدالله، (اترح) أي: فيمَ كنت؟ (كاره) أي من ربُّك؟ (سالحين) أي: ما تقولُ في هذا الرجلِ الذي بُعِثَ فيكم، يعني محمداً. وقال: إن حفظَ هذه الكلماتِ الأربعِ دليلٌ على حسنِ الخاتمة.

وقالَ في حاشيتهِ على الجوهرة: ويُسألُ كلُّ واحدٍ بلسانهِ على الصحيح، خلافاً لمن قال بالسرياني، ولذلك قال بعضهم:

ومن عجيبِ ما ترى العينانِ أن سؤالَ القبرِ بالسرياني
أفتى بهذا شيخنا البلقيني ولم أرهُ لأحدٍ بعيني[2]

(١) مسند أبي يعلى (٩٤٢) ووثق الشيخ حسين أسد رجاله، المعجم الكبير للطبراني (٨٢٨)، السنن الكبرى للبيهقي (١١٩٢٣)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٤٥٥٩)، وهو أقرب إلى لفظ الأول. وأصله في الصحيحين، من حديث أبي هريرة.

(٢) قال الإمام السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص١٤٧: وقع في فتاوى شيخنا شيخ الإسلام علم

لمحاجة منكرٍ ونكير

قال الشبرخيتي في شرحه الأربعين النووية نقلاً عن الشيخ عبدالبرّ: من كتبَ هذه الأسماءَ وجعلها في قبرِ الميتِ حاجَّتْ عنه الملكين، وهي:

أويس القرني، أبو مسلم الخولاني، مسروق بن الأجدع، الربيع بن خثيم[1]، الأسود بن يزيد، عامر بن عبد قيس، هرم بن حيّان، الحسن البصري، معروف الكرخي[2].

الصدقات وإهداء ثوابها للأموات

في الحديث الشريف: "**ما الميتُ في قبرِهِ إلا شبهَ الغريقِ المتغوّث، ينتظرُ دعوةً من أبٍ أو أمٍّ أو ولدٍ أو صديقٍ ثقة، فإذا لحقتهُ كانتْ أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله عزَّ زجلَّ ليُدخلُ على أهلِ القبورِ من دعاءِ أهلِ الدنيا أمثالَ الجبالِ من الثواب، وإن هديةَ الأحياءِ إلى الأمواتِ الاستغفارُ لهم والصدقةُ عليهم، تأتيهِ بها الملائكةُ في أطباقٍ من نورٍ على رأسِ القبر، فينادونه: يا صاحبَ القبرِ الغريب، إن أهلكَ قد أهدَوا إليكَ هذه الهديةَ فاقبلها، فتدخلُ عليه في قبره، وتكونُ له نوراً، فيقولُ الميت: جزى الله عني أهلي خيرَ الجزاء**". ا هـ.[3].

الدين البلقيني أن الميت يجيب السؤال في القبر بالسريانية، ولم أقف لذلك على مستند، وسئل الحافظ ابن حجر عن ذلك فقال: ظاهر الحديث أنه بالعربي، قال: ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل أحد بلسانه.

(١) في الأصل: خيثم.

(٢) قلت: لا ينظر في هذا، إنما عمله هو الذي يحاجج عنه.

(٣) حتى قوله "الاستغفار" أورده الإمام الغزالي في الإحياء ٤/ ٧١٢، وعلق عليه الحافظ العراقي بقوله: أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس، وفيه الحسن بن علي بن عبدالواحد، قال الذهبي: حدث عن

فالصدقةُ، من قراءةِ قرآنٍ، ودعاءٍ واستغفار، وإطعامِ طعام، وحجٍّ وعملِ خيرٍ دائم، وغيرِ ذلكَ من وجوهِ البرِّ المشروعة، يصلُ ثوابها للميت، ويبتهجُ بها، وتنفعهُ بالاتفاقِ عند أهلِ السنَّةِ والجماعة، ويُثابُ المتصدِّقُ أيضاً على صدقاتهِ الخيريةِ هذه، ولكنْ بشرطِ أن تكونَ من المالِ الحلال، وخالصةً من كلِّ رياءٍ وسمعة، فإن الله تعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا ما هو طيّب، وقد ذكَّرنا الله تعالى بذلك، وجعل ذلك التذكيرَ ديدناً، من حيثُ نكرّرهُ في كلِّ صلاةٍ بقراءةِ التشهد: التحيَّاتُ لله، والصلواتُ والطيّبات.

فالصدقةُ من المالِ الحرام، سواءٌ أكانَ من مالِ المتصدِّقِ نفسه، أو من المالِ الذي انتقلَ إليه بالإرثِ ممَّن يُتصدَّقُ عنه، لا ثوابَ فيه للمتصدِّق ولا للمتصدَّقِ عليه به.

وإقراءُ القرآنِ بالأجرةِ لا ثوابَ فيها، ولا يصلُ إلى الميتِ منها شيء، ويحرمُ على القارئِ أن يأخذَ الأجرةَ على قراءته، ويحرمُ على المعطي أن يعطيَهُ. والمطاعمُ والمشاربُ التي تُطعَمُ وتُسقى صدقةً عن روحِ الميت، لا يُقبَلُ منها إلا ما أكلَهُ أو شربهُ فقيرٌ محتاجٌ لا غيره، فإن الله تعالى يقول: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء} الآية[1].

ومن حقوقِ الميّتِ على الحيِّ أن يتعهَّدهُ بالزيارةِ لقبره، والتصدُّقِ عن روحهِ في وقتٍ دونَ وقت، لا سيَّما إذا كان شديدَ العلاقةِ به في حياته، من صداقةٍ أو قرابة، فقد نقلتُ في كتابي (لوامع الإسعاد في جوامع الأعداد) لا يكونُ الصديقُ صديقاً حتى يحفظَ صديقَهُ في ثلاث: في غيبتهِ ونكبتهِ ووفاته[2].

زيارة القبور

زيارةُ القبورِ مشروعة، وفيها فائدةٌ للزائرِ والمزور، إذا رُوعيَ فيها الحكمُ الشرعي، ففي الحديثِ الشريف: **"كنتُ نهيتكم عن زيارةِ القبور، ألا فزوروها فإنها ترقُّ القلب، وتُدمعُ العين، وتزهّدُ في الدنيا، وتذكّرُ في الآخرة، ولا تقولوا هُجراً"**. رواه ابن ماجه عن ابن مسعود، والحاكم عن أنس[3].

هشام بن عمار بحديث باطل. وما بعده رواه ابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ١١٥ وذكر أنه لا أصل له.

(١) من سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٢) لعله مما ينسب لعلي رضي الله عنه.

(٣) سنن ابن ماجه (١٥٧١)، المستدرك للحاكم (١٣٩٣) واللفظ للحاكم، لكن ليس فيه "وتزهد في الدنيا"، وأورده له في فتح الباري ٣/ ١٤٨، فلعله اختلاف نسخ؟ وقد صححه له في صحيح الجامع (٤٥٨٤) وليس فيه تلك

وكيفيةُ الزيارةِ أن يقولَ الزائر: سلامٌ عليكم أهلَ ديارِ قومٍ مؤمنين، أنتم السابقون، ونحن إن شاءَ الله بكم لاحقون، يرحمُ الله المستقدمينَ منكم والمستأخرين، نسألُ الله لنا ولكم العافية، أبشروا بأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأن الله يبعثُ من في القبور، اللهم ربَّ هذه الأجسادِ البالية، والعظامِ الناخرة، التي خرجتْ من الدنيا وهي بكَ مؤمنةٌ مطمئنة، أنزلْ عليها من فضلك صيِّبَ العفوِ والغفران، والرحمةِ والإحسان، وأوصلْ إليها مني تحيةً وسلاماً. اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم.

ثم يقرأ ما تيسَّرَ من القرآن، ويستحبُّ أن يقرأ سورةَ يس، لحديث: **"اقرأوا على موتاكم يس"**. رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبّان والحاكم عن معقل بن يسار، وهو حديث حسن[1].

ويهدي ثوابَ ما قرأهُ من القرآنِ إليهم، ولا يهدي من الثوابِ إلا ثوابَ قراءةِ القرآنِ فقط، لأنه كلامُ ربِّ العالمين، وفي قراءتهِ الثوابُ للأحياءِ والميّتين، وإنما يهدي ثوابَ غيرهِ تبعاً له، من تسبيحٍ وتحميدٍ وتهليلٍ وتكبير، وصلاةٍ وسلامٍ على النبيِّ ﷺ.

وتستحبُّ الزيارةُ من مساءِ ليلةِ الجمعةِ إلى مساءِ ليلةِ السبت، فإنه في تلكَ المدَّةِ يُكشَفُ للأمواتِ عن أبصارهم وبصائرهم، فيرونَ زائريهم ويعرفونهم، وإذا مرَّ الحيُّ بصاحبِ قبرٍ كانَ يعرفهُ وسلَّمَ عليه، فإنه صاحبَ القبرِ يردُّ عليه السلام، كما في حديث: **"ما من رجلٍ يمرُّ بقبرِ رجلٍ كان يعرفهُ في الدنيا، فيسلِّمُ عليه، إلا ردَّ الله عليهِ روحَهُ حتى يردَّ السلام"**[2].

وإن الله تعالى يُثيبُ الحيَّ إذا دعا للميِّتِ المؤمن، كما يُثيبهُ إذا صلَّى على جنازته.

ومن برِّ الوالدينِ أن يُكثِرَ الولدُ من زيارةِ قبرِ والديه، ففي الحديثِ الشريف: **"من زارَ قبرَ والديهِ أو أحدهما يومَ الجمعة، فقرأ عندهُ يس، غفرَ الله له"**. رواه ابن عدي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه[3].

الجملة. وضعفه لابن ماجه في ضعيف الجامع (٤٢٧٩).

(١) مسند أحمد (٢٠٣١٦) وضعفهُ الشيخ شعيب، سنن أبي داود (٣١٢١)، سنن ابن ماجه (١٨٨٤)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٠٠٢) وقوَّى إسناده الشيخ شعيب، المستدرك للحاكم (٢٠٧٤)، لكن ضعفه لهم في ضعيف الجامع الصغير (١٠٧٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه تاريخ بغداد (٣١٧٥)، وابن عساكر في تاريخه تاريخ مدينة دمشق ١٠/ ٣٨٠، ٢٧/ ٦٥، وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٥٢٠٨).

(٣) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٥٢ ذكره في ترجمة عمرو بن زياد، وقال فيه ابن عدي: باطل ليس له أصل، ولذلك قال الألباني: موضوع. ضعيف الجامع الصغير (٥٦٠٦).

قال المرحوم محمد بن إبراهيم الدكدكجي الدمشقي، المتوفى سنة ١١٣٢هـ يوصي ولده:

زرْ والديكَ وقفْ على قبريهما فكأني بكَ قد نُقلتَ إليهما
لو كنتَ حيثُ هما وكانا بالبقا زاراك حَبْواً لا على قدميهما

وزيارةُ القبورِ المشروعةُ والأمرُ بها للرجالِ دون النساء، أما النساءُ فإنهنَّ ممنوعاتٌ من زيارتها، للمفاسدِ التي تكونُ منهنَّ وبسببهنّ، ففي الحديثِ الشريف: **"لعنَ الله زائراتِ القبور، والمتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرج"**. رواه أبو داود عن ابن عباس[١].

والزائرةُ منهن للقبورِ ترجعُ ملعونة، مأزورةً غيرَ مأجورة.

تشريح الميت والتمثيلُ فيه

يحرمُ تشريحُ الميت، أي تشريطُ جسدهِ وتقطيعهُ وكسرُ عظمه، ولو لغرضٍ طبي، وهو تعليمُ طلبةِ الطبِّ تركيبَ الجسدِ وأوضاعَهُ وما اشتملَ عليه، ومعرفةُ سببِ وفاته، وغيرُ ذلك من الأمورِ المتعلِّقةِ بفنِّ الطب، لأنه وردَ أنه يؤذيهِ وهو ميِّتٌ ما يؤذيه وهو حيّ[٢]، وحرمتهُ ميتاً كحرمتهِ حيًّا.

وروى البخاريُّ وأحمد بن حنبل عن عبدالله بن يزيد[٣]، والحاكمُ عن عمران بن حصين، والطبراني عن عبدالله بن عمر والمغيرة بن شعبة، أن رسولَ الله ﷺ **نهى عن المثلة**[٤].

وفي حديثٍ آخر: **"كسرُ عظمِ الميّتِ ككسرهِ حياً"**، رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن

---

(١) سبق تخريجه، وهو في سنن أبي داود (٣٢٣٦)، وضعفه له ولغيره في ضعيف الجامع (٤٦٩١).

(٢) إذا كان المقصود حديث: "ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء" الذي ورد في الحلية، فإنه موضوع. ضعيف الجامع الصغير (٢٦٣).

(٣) في الأصل "زيد" وهو عبدالله بن يزيد الأنصاري، كما في صحيح البخاري الموثق تالياً.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المظالم (٢٤٧٤)، مسند أحمد (١٨٧٦٢) وصحح الشيخ شعيب إسناده، المستدرك للحاكم (٧٨٤٣)، المعجم الكبير للطبراني (١٣٤٨٥)، (٨٩٤). وصححه للطبراني في صحيح الجامع الصغير (٦٨٩٩).

عائشة[1]، أي: في الإثم.

والحرمةُ كما في حديثِ **"كسرُ عظمِ الميّتِ ككسرِ عظمِ الحيّ في الإثم"**. رواه ابن ماجه عن أمِّ سلمة[2].

والميتُ يتأذَّى من ذلك ويتألَّم، خلافاً لما قاله المتنبي، فإنه شاعرٌ لا عالم:

مَن يهنْ يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

ويأثمُ أشدَّ الإثم إذا أوصى بأن يُعطى جسدهُ أو يُباعَ للأطباءِ بعد موتهِ ليشرّحوه، فإنه لا يملكُ حقَّ بيعِ نفسهِ أو الوصيةِ بها كما يفعلهُ بعضُ سخفاءِ العقولِ وضعفاءِ الاعتقادِ أو عديموه.

بناء القبور وتشييدها

يُكرَهُ بناءُ القبورِ وتجصيصها، وتشييدُ القُببِ عليها، وإشعالُ السُّرجِ والقناديلِ فيها، واتخاذها مساجد، وتجليلها بالستور، كما يُفعَلُ هذا في قبورِ بعضِ أهلِ مظنَّةِ الصلاحِ والولاية، خيفةً من أن يؤدِّي ذلك إلى عبادتها كما كانتْ عبادةُ الأصنام قبلاً بسببها، وفي بناءِ القبورِ وعليها ضررٌ بالدفين فيها، ففي الحديثِ الشريف: **"لا يزالُ الميتُ يسمعُ الأذانَ ما لم يطيَّنْ قبره"**[3].

ويكفي أن تكونَ كومةً من ترابٍ مستطيلةً بين حجرين، حجرٍ عند الرأس، وحجرٍ عند القدمين، ليُعلمَ أن ما بينهما قبراً، فلا يُنبش. ولا بأسَ بوضعِ لوحٍ عليه فيه اسمُ المتوفَّى من غير إطنابٍ فيه.

وقال بعضُ العلماء من الشافعية: يجوزُ بناءُ القبورِ وتشييدُ القُببِ عليها للأنبياءِ والأولياءِ وأهلِ العلمِ والصلاح؛ احتراماً لهم وتكريماً للعلمِ والصلاحِ الذي كانوا عليه.

وعن جابر بن عبدالله، أن رسولَ الله ﷺ **نهى أن يُقعدَ على القبر، وأن يُجصَّصَ أو يُبنى عليه**. رواه

(١) سنن أبي داود (٣٢٠٧)، سنن ابن ماجه (١٦١٦)، مسند أحمد (٢٤٧٨٣)، صحيح الجامع الصغير (٤٤٧٨).
(٢) سنن ابن ماجه (١٦١٧)، ضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٤١٧٠).
(٣) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٧٥٨٧) قال الحافظ ابن حجر: إسناده باطل. تلخيص الحبير ٢/ ١٣٢.

الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي[1].

احترام القبور وامتهانها

يُكرَهُ دوسُ القبورِ والمرورُ عليها للتوصُّل إلى قبرٍ آخر، واتخاذها مقاعدَ للأكل والشرب، والحديثِ واللغطِ وهُزءِ القول، حتى لقراءةِ القرآنِ أيضاً، والصلاةِ إلى جهتها، لما فيه من شبهةِ الصلاةِ لها.

ففي الحديثِ الشريف: **"لأنْ يجلسَ أحدكم على جمرٍ فتُحرِقَ ثيابَهُ فتخلُصَ إلى جلده، خيرٌ له من أن يجلسَ على قبر"**. رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة[2].

وفي حديثٍ آخر: **"لا تجلسوا على القبورِ ولا تصلُّوا إليها"**. رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي مَرْثد الغنوي[3].

ويقول أبو العلاء المعري:

صاحِ هذي قبورنا تملأ الرحـ ـبَ فأين القبورُ من عهدِ عادِ
رُبَّ قبرٍ قد صارَ قبراً مراراً ضاحكٍ من تزاحمِ الأضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ من قديمِ الأزمانِ والآبادِ
خفِّفِ الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الـ أرضِ إلا من هذهِ الأجسادِ
سِرْ إنِ استطعتَ في الهواءِ رُويداً لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ
وقبيحٌ بنا وإن قدُم العهـ ـدُ هوانُ الآباءِ والأجدادِ[4]

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٠)، سنن أبي داود (٣٢٢٥)، مسند أحمد (١٤١٨١)، سنن النسائي (٢٠٢٧)، صحيح الجامع الصغير (٦٨٤١).

(٢) صحيح مسلم (٩٧١)، سنن أبي داود (٣٢٢٨)، مسند أحمد (٨٠٩٣)، سنن ابن ماجه (١٥٦٦)، سنن النسائي (٢٠٤٤)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٥٠٤٢). وورد في الأصل "فيحرق... فيخلص". وتصحيحه من مصادره.

(٣) صحيح مسلم (٩٧٢)، سنن أبي داود (٣٢٢٩)، سنن الترمذي (١٠٥٠)، سنن النسائي (٧٦٠)، مسند أحمد (١٧٢٥٤)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٧٢٢٩).

(٤) معاهد التنصيص ١/ ١٣٥.

اختيار محل الدفن

اصطلحَ الناسُ في كلِّ قطرٍ أن يكونَ لهم محلٌّ مخصوصٌ يدفنونَ فيه موتاهم خاصَّةً من غيرِ اختلاطِ أمواتِ قومٍ بآخرين، سواءٌ أكانوا صالحينَ أو غيرَ صالحين، وليسَ هذا بالأمرِ المشروع، وإنما المشروعُ اختيارُ الدفنِ بقربِ أهلِ الصلاحِ ومظنةِ العلمِ والهداية، فإن هؤلاءِ بركةٌ على الأحياءِ والأموات[1]، من أجلِ ذلك وردَ في الحديثِ الشريف: **"ادفنوا موتاكم وسطَ قومٍ صالحين، فإن الميّتَ يتأذَّى بجارِ السوءِ كما يتأذَّى الحيُّ بجارِ السوءِ"**. رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة[2]. وكان رسول الله يتعوَّذُ من جارِ السوءِ بعد الموت، كما وردَ في بعضِ أدعيتهِ وتعوُّذاته، منها: **"اللهم إني أعوذُ بك من جارِ السوءِ في دارِ المُقامة"**. رواه الطبراني عن عقبة بن عامر[3].

وهذا إذا كان الميتُ من أهلِ الصلاح، حتى يكونَ كلُّ شخصٍ مع من هو مثله، وإلا إذا لم يكنْ من أهلِ الصلاح، فإن دفنه بجوارِ الصالحينَ يؤذيهم ويضرُّهم، ولا ينفعهُ جوارهم، كما أن الأرضَ المقدَّسةَ لا تقدِّسُ عاصياً ولو دُفِنَ في الكعبة.

نقل الميت من جهة لجهة

يجوزُ نقلُ من ماتَ في بلادِ الكفرِ ليُدفنَ في بلادِ الإسلام، قبل الدفنِ وبعده، تباعداً به عن مجاورةِ أهلِ الكفر، فإن الميّتَ يتأذَّى بجارِ السوءِ كما يتأذَّى الحيُّ بجار السوء، ولا يجوزُ نقلُ من ماتَ في بلادِ الإسلامِ من بلدٍ إلى بلدٍ قبلَ الدفنِ وبعده، لأن بلادَ الإسلام كلَّها واحدة، بل يُدفَنُ حيثُ مات، إلا إذا كانتِ الأرضُ التي دُفِنَ فيها مغصوبة، أو استحقَّتْ بشُفعة، أو أن يُخشى على القبرِ من طغيانِ المياه، أو

---

(١) البركة من الله سبحانه وتعالى {رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} سورة هود، الآية ٧٣، "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته".

(٢) سبق تخريجه وبيان حكمه أنه موضوع.

(٣) اللفظ المباشر الذي أورده المؤلف هو للحاكم في المستدرك (١٩٥١) من حديث أبي هريرة، الذي حسَّنه في صحيح الجامع الصغير (١٢٩٠)، وحديث الطبراني في معجمه الكبير (٨١٠) أوله "اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء" وآخره: "ومن جار السوء في دار المقامة". وقد حسَّنه كذلك في صحيح الجامع الصغير (١٢٩٩).

من عبثِ الكفَّار به، أو امتهانه، بأن يكونَ دُفِنَ في مزبلة، أو محلٍّ يتغوَّطُ به، فإنه حينئذٍ يُنقَلُ من قبرِه الذي دُفنَ فيه إلى قبرٍ آخر، آمنَ وأسلمَ عليه فيه. ومن لؤمِ الأهلِ والأصدقاءِ أن ينقلوا ميتاً كان صديقاً لهم في حياتهِ من جوارِ قبورِ المسلمينَ الصالحينِ إلى قبرٍ يشيّدونه له بين البيوت، بحجَّةِ أنه رجلٌ عظيم، أو زعيمٌ تقتضي عظمتهُ وزعامتهُ أن يكونَ له قبرٌ ومقامٌ منفردٌ يُشارُ إليه بالبنان، ويقصدَ في كلِّ وقت، وإن هؤلاءِ الأخلَّاءِ الأوفياءُ يصدُقُ عليهم قولُ الله جلَّ وعلا: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}[1] ويقولُ الميتُ لكلِّ واحدٍ منهم: يا ليتَ بيني وبينكَ بُعدَ المشرقين، فبئسَ القرين كنتَ لي أنتَ في الدنيا.

الموت في الأيام المباركة

والدفن في الأراضي المقدسة

إن الله جلَّ وعلا خواصَّ في الأزمنةِ والأمكنةِ والأشخاص؛ رحمةً منه بعباده، ليغتنموا فرصةَ الحياة، فيلجؤون إليه في الأزمنةِ المباركةِ والأمكنةِ المقدَّسة، ويتوسَّلونَ إليه بصالحِ أهلِ أرضهِ وسمائه، فيعطفُ عليهم بالرحمةِ والمغفرةِ والعفوِ عنهم في الدنيا والآخرة.

أما الأزمنةُ المباركة فهي: يومُ الجمعةِ وليلتها، وليلةُ العيدين، ويومُ عرفة، وليلةُ النصفِ من شعبان، وليلةُ القدر.

ويومُ الجمعةِ وليلتها هما أفضلُ الأيامِ والليالي المباركةِ كلِّها وأعظمُها. ومن خصائصِ يومِ الجمعةِ أنه يومُ عيد، وفيه ساعةُ الإجابة، وفيه تجتمعُ الأرواح، وفيه يُكشَفُ للأمواتِ عن أحوالِ الأحياءِ من أهليهم، فيفرحونَ للصالحينَ منهم بأعمالهم الخيرية، ويحزنونَ للمقصّرينَ منهم بسببِ أعمالهم الشرّية، وفيه تُزارُ القبور، وفيه يرتفعُ عن الأمواتِ عذابُ القبرِ طولَ ذلك اليوم، والميّتُ يومَ الجمعةِ يوقَى فتنةَ القبرِ فلا يُسألُ فيه، وقد جاءَ في الحديثِ الشريف: "**خيرُ يومٍ طلعتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدخِلَ الجنة، وفيه أُهبطَ منها، وفيه تِيبَ عليه، وفيه قُبِض، وفيه تقومُ الساعة، وما على وجهِ الأرضِ دابَّةٌ إلا وهي تُصبحُ يومَ الجمعة مُصيخةً حتى تطلعَ الشمسُ شفقاً من الساعة، إلا ابنَ آدم، وفيه ساعةٌ لا يصادفها عبدٌ مؤمنٌ وهو في الصلاةِ يسألُ الله شيئاً إلا أعطاهُ إياه**". رواه الإمام مالك والإمام أحمد

(١) سورة الزخرف، الآية ٦٧.

والبخاري ومسلم وأبو داود وابن حبان والحاكم، عن أبي هريرة[١].

وفي حديثٍ آخر: **"من وافقَ موتهُ عند انقضاءِ رمضانَ دخلَ الجنة، ومن وافقَ موتهُ عند انقضاءِ صدقةٍ دخل الجنة"**. رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود[٢].

وفي حديث آخر: **"خيرُ ما يموتُ عليه العبدُ أن يكونَ قافلاً من حجّ، أو مُفطراً من رمضان"**. رواه الديلمي في مسند الفردوس، وهو حديثٌ حسن[٣].

وأما الأماكنُ المقدَّسةُ فهي: مكةُ المكرمة، والمدينةُ المنوَّرة، والمسجدُ الأقصى وما حولَهُ في القدسِ الشريف، ففي الحديثِ الشريف: **"من ماتَ في أحدِ الحرمين، بعثهُ الله يومَ القيامةِ من الآمنين"**. رواه الدارقطني[٤].

وفي حديثٍ آخر: **"من استطاعَ أن يموتَ بالمدينةِ فليمتْ بها، فإني أشفعُ لمن ماتَ بها"**. رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد بن حنبل وابن حبان عن ابن عمر[٥].

وفي حديثٍ آخر: **"إن الله تباركَ وتعالى بارِكَ ما بين العريشِ والفرات، وخصَّ فلسطينَ بالتقديس"**.

---

(١) المستدرك للحاكم (١٠٣٠) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إنما اتفقا على أحرف من أوله، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٧٧٢) قال الشيخ شعيب: إسناده قوي. موطأ مالك (٢٤١). ولفظه أقرب إلى المصادر الثلاثة السابقة. مسند أحمد (٢٣٨٤٢) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، سنن أبي داود (١٠٤٦) (وهو مثل المصادر الأُول)، صحيح مسلم (٨٥٤)، صحيح البخاري، كتاب الجمعة (٩٣٥). وعند الشيخين قسم من الحديث في أوله كما ذكر الحاكم.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٣ وقال أبو نعيم: غريب من حديث طلحة. وضعفه في ضعيف الجامع (٥٨٦٩).

(٣) هكذا حسَّنه المؤلف؟ وقد ضعفه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٣١، والألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٩٢٧).

(٤) لم أجده للدراقطني، ولعله يعني البيهقي، فقد رواه في شعب الإيمان من حديث أنس (٤١٥٨)، ومن حديث جابر (٤١٨١)، ومن حديث سلمان (٤١٨٠) وفي سنده عبدالغفور بن سعيد الأنصاري، ذكر البيهقي (في الحديث الأخير) أنه ضعيف، ومن حديث رجل من آل الخطاب (٤١٥٢). وقد أورد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات ٢/ ١٢٩ لكنه نُقد من أن البيهقي اقتصر على تضعيفه؟ ويبدو أن الحديث له روايات وطرق، وهي تبحث في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتحتاج إلى تحرير وتفصيل.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٧٤١)، سنن الترمذي (٣٩١٧) وقال: حديث حسن غريب، مسند أحمد (٥٨١٨)، سنن ابن ماجه (٣١١٢)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٦٠١٥).

رواه ابن عساكر عن زهير بن محمد بلاغاً[1].

وقد طلبَ الأنبياءُ والصالحونَ الدفنَ في البقاعِ المباركةِ زيادةً في التقديسِ الحاصلِ من أعمالهم الصالحة، وأما العُصاةُ فإنهم لا تقدِّسهم الأرضُ المقدَّسة، وقد أرسلَ أبو الدرداءِ لسلمانَ الفارسي رضيَ الله تعالى عنهما يقولُ له: هلمَّ يا أخي إلى الأرضِ المقدَّسة، فلعلكَ أن تموتَ فتُدفنَ فيها، فأرسلَ إليه سلمانُ الفارسيُّ يقول: اعلمْ يا أخي أن الأرضَ المقدَّسةَ لا تقدِّسُ أحداً، وإنما يقدِّسُ كلَّ إنسانٍ عملُه. ا هـ[2].

وهذا تواضعٌ منه، فإنه من خيارِ الصحابةِ رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

ذكرُ أمور تُنجي من عذاب القبر

منها: الرباطُ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، ففي الحديثِ الشريف: **"رباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامه، وإن ماتَ جرى عليه عملهُ الذي كانَ يعملهُ، وأُجريَ عليه رزقهُ، وأَمِنَ الفتَّان"**. رواه مسلم عن سلمان الفارسي[3].

ومنها: قراءةُ سورةِ {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} كلَّ ليلة، فقد قال رسول الله: **"هي المانعة، هي المُنجية، تنجيهِ من عذابِ القبر"**. رواه الترمذي عن ابن عباس[4].

ومنها: قراءةُ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في مرضِ الموت، وفي ذلك حديثٌ واردٌ أيضاً[5].

ومنها: من ماتَ ببطنه، لحديث: **"من قتلهُ بطنهُ لم يعذَّبْ في قبره"**. رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان، عن خالد بن عرفطة وسليمان بن صُرد[6].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١/ ١٤٠ وقال: هذا منقطع. وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (١٥٧٦).

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١/ ١٥٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩١٣) وكان في الأصل نقص أكملته من الصحيح.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٠) وقال: حديث حسن غريب، وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٦١٠١).

(٥) سبق أن ذكره المؤلف، ولم أقف عليه.

(٦) مسند أحمد (١٨٣٣٧)، سنن الترمذي (١٠٦٤) وقال: حديث حسن غريب، سنن النسائي (٢٠٥٢)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٩٣٣)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٦٤٦١).

ومنها الموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلتها، لحديث: "**ما من مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعة، أو ليلةَ الجمعة، إلا وقاهُ الله فتنةَ القبر**". رواه الإمام أحمد والترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص[1].

ومنها الموتُ في معركةِ الكفّار، لحديثِ ابن أبي شيبةَ وغيرِهِ مرفوعاً: "**كلُّ مؤمنٍ يُفتَنُ في قبرِهِ إلا الشهيد**". ا هـ[2].

ورجالُ المسلمينَ ونساؤهم في هذا الفضلِ العظيمِ وفي كلِّ ما تقدَّمَ في هذا الكتابِ سواء.

الوقيعة في الأموات

غِيبةُ الميّتِ والتكلمُ فيه بسوءٍ أشدُّ من غيبةِ الحيّ؛ لعدمِ إمكانِ التحلُّلِ منه، والوقيعةُ في غيرِ المسلمِ أشدُّ منها في المسلم، لأنه لا يعفو يومَ القيامةِ ولا يسمحُ وهو يعلمُ مصيره، فلا ينبغي أن يُذكرَ ميّتٌ معيَّنٌ إلا بخير، مهما كانَ الخيرُ فيه قليلاً، ففي الحديثِ الشريف: "**اذكروا محاسنَ موتاكم، وكفُّوا عن مساويهم، فإنهم أفضَوا إلى ما قدَّموا عليه**". رواه أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمر بن الخطاب[3].

وفي حديثٍ آخر: "**ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا ماتَ منهم أحدٌ فقولوا فيه خيراً**". رواه الطبراني عن سهل بن سعد[4].

---

(١) مسند أحمد (٦٥٨٢) وضعف إسناده الشيخ شعيب، سنن الترمذي (١٠٧٤) وقال: حديث غريب، وحسَّنه لهما في صحيح الجامع الصغير (٥٧٧٣).

(٢) الذي وقفت عليه في هذا، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة". رواه النسائي في السنن (٢٠٥٣). وصححه في صحيح الجامع الصغير (٤٤٨٢).

(٣) سنن أبي داود (٤٩٠٠)، سنن الترمذي (١٠١٩) وقال: حديث غريب، المستدرك للحاكم (١٤٢١) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، السنن الكبرى للبيهقي (٦٩٨١)، ولا توجد فيها كلها الجملة الأخيرة، إنما جاءت في حديث آخر عند البخاري، من قوله ﷺ في حديث عائشة: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا". صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥١٦).

(٤) وضعفه له في ضعيف الجامع الصغير (٧٨١) وصحح في الهامش أن راويه سهل بن مالك أخي كعب. قلت: وهو

وفي حديثٍ آخر: "**سابُّ الموتى كالمشرفِ على الهلكة**". رواه الطبراني عن عبدالله بن عمرو بن العاص[١].

الشهادة والشهداء

الشهادة، أي الموتُ في سبيلِ الله، من أعظمِ أسبابِ السعادةِ لمن كانَ له نصيبٌ منها، وللشهداءِ عند الله تعالى من الأجرِ والثوابِ والنعيمِ المقيمِ ما لا يعلمُ علمَهُ إلا الله، الذي تكرَّمَ عليهم به، وقد ذكرَ الله تعالى في القرآنِ الكريمِ شيئاً عنهم فقال: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٢].

وفي الحديثِ الشريف: "**الشهادةُ تكفِّرُ كلَّ شيء إلا الدَّين**". رواه الشيرازي عن عبدالله بن عمرو بن العاص[٣].

وفي حديثٍ آخر: "**الشهداءُ على بارقِ نهرٍ ببابِ الجنةِ في قبَّةٍ خضراء، يخرجُ إليهم رزقهمْ من الجنةِ بكرةً وعشيًّا**". رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس[٤].

وفي حديثٍ آخر: "**الشهداءُ عند الله على منابرَ من ياقوتٍ في ظلِّ عرشِ اللهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، على كثيبٍ من مسك، فيقولُ لهم الربُّ: ألم أوفِ لكم وأصدقكم؟ فيقولون: بلى وربّنا**". رواه العقيلي عن أبي هريرة[٥].

كذلك في المعجم الكبير للطبراني (٥٦٤٠): سهل بن يوسف بن سهل ابن أخي كعب عن أبيه عن جده. وفيه لفظه: "ارفعوا المستنكر عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً".

(١) وهو ضعيف. ضعيف الجامع الصغير (٣١٩٨).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩-١٧٠.

(٣) وهو ضعيف. ضعيف الجامع الصغير (٣٤٤٥).

(٤) مسند أحمد (٢٣٩٠)، المعجم الكبير للطبراني (١٠٨٢٥)، المستدرك للحاكم (٢٤٠٣) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. وحسَّنه لهم في صحيح الجامع الصغير (٣٧٤٢).

(٥) الضعفاء للعقيلي (١١٩)، وهو ضعيف. ضعيف الجامع الصغير (٣٤٤٧).

والشهداءُ ثلاثةُ أقسام: شهيدُ الدنيا والآخرةِ معاً، وشهيدُ الآخرةِ فقط، وشهيدُ الدنيا فقط.

أما شهيدُ الدنيا والآخرةِ معاً فهو كلُّ مسلمٍ أو مسلمةٍ قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، من غيرِ طمعٍ في سلبٍ أو غنيمة، فقتلهُ أهلُ الحرب، أو قتلهُ أهلُ البغي، أو قطَّاعُ الطريق، أو وُجِدَ في معركةٍ وبه أثرُ القتل، أو قُتِلَ ظلماً ولم تجبْ به دية، أو قُتِلَ في دفاعهِ عن دينه، أو عرضه، أو ماله، أو أهله، أو عمَّن استغاثَ به، ولو كانَ المستغيثُ كافراً ومات عقبَ قتله، من غيرِ أن يأكلَ، أو يشرب، أو ينام، أو يتداوَى، أو يُنقَلَ من مكانِ قتلهِ حيًّا، أو يمضي عليه أدنى وقتِ صلاةٍ وهو حيّ، ولم يكنْ قتلهُ خطأ، فهذا لا يُغسَلُ ولا يُكفَن، بل يُصلَّى عليه، ويُدفَنُ بدمهِ وثيابه، إلا ما ليسَ من الكفن، كالسلاح، والحذاء، والطربوش، ويُزادُ فيه ويُنقص.

والقسمُ الثاني: شهيدُ الآخرةِ فقط، وهو من قُتِلَ ظلماً وهو جُنب، أو حائض، أو نُفَساء، ولم يمت عقبَ الإصابة، أو كان صغيراً، أو مجنوناً، أو قُتِلَ خطأ، والميّتُ بالطاعون، والغريق، وصاحبُ ذاتِ الجَنب[1]، والمبطون، وصاحبُ الحريق، والذي يموتُ تحت الهدم، والمرأةُ تموتُ بجمع، أي وولدها في بطنها، والنُّفَساء يجرُّها ولدها بسُررها إلى الجنة، والميّتُ بوقوعهِ من مكانٍ مرتفعٍ من غيرِ سبب منه، والميّتُ غريباً غربةً في الله، والميّتُ بالوباء، والاستسقاء، والإسهال، والسلّ، والصرع، ولدغِ العقرب، والشَّرَق، واللقوة، وفي الحجّ، ومن خرجَ من بيتهِ للقتالِ في سبيلِ الله فمات، أو أكلهُ السبع، وهو كلُّ حيوانٍ مفترس، والميّتُ في طلبِ العلمِ الشرعيّ، أو ليلةَ الجمعةِ أو يومها، والميّتُ مرابطاً في سبيلِ الله.

وحكمُ كلِّ واحدٍ منهم حكمُ من ماتَ حتفَ أنفه، يُغسَلونَ، ويكفَّنون، ويصلَّى عليهم، ويُدفَنون، ولهم عند الله تعالى أجرُ الشهداء، كلٌّ بحسبِ ما هو عند الله، بفضلهِ وكرمه.

والقسمُ الثالث: شهيدُ الدنيا فقط، وهو من قاتلَ في سبيلِ الله للغنيمةِ والشهرة؛ ليُقالَ عنه إنه مجاهدٌ وغازٍ، أو قاتلَ نفاقاً، وهذانِ النوعانِ من المقاتلينَ حكمهما حكمُ القسمِ الأول، وأمرُهما إلى الله تعالى، لعدمِ اطِّلاعنا على نيَّاتهما.

فهذه هي أنواعُ الشهداءِ المنصوصُ عليها في الشرعِ الإسلامي.

وقد أحدثَ بعضُ الناسِ من عندِ أنفسهم شهداءَ آخرين، فقالوا: شهيدُ الحرّية، شهيدُ الوطن، شهيدُ الاستقلال، شهيدُ الحزب، شهيدُ الجمعيَّة، شهيدُ المبدأ، شهيدُ الذمَّة، شهيدُ الضمير، شهيدُ القلم، أي:

(١) ذات الجنب في الطب القديم: قرحة تصيب الإنسان في داخل جنبه، وفي الطب الحديث: التهاب في الغشاءِ المحيط بالرئة. المعجم الوسيط، مادة جنب.

الكاتبُ في الجرائد، سواءٌ كانَ مسلماً أو غيرَ مسلم.

والشرعُ لا يعرفُ هؤلاءِ الشهداء، ولا يقرُّ بشهادتهم، ولا هو بحاجةٍ إليهم، وإنما لكلِّ واحدٍ منهم ما كسب، وعليه ما اكتسب، من غيرِ أن يكونَ له أقلُّ نصيبٍ من تلكَ الشهادةِ الشرعية، المنصوصِ عليها في القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريف.

وأحدَثوا أيضًا أنواعاً من المجاهدين، ومنهم المجاهدُ بالخطبِ والمقالات، تعضيداً لحزبٍ ينتسبُ إليه يجرُّ من ورائهِ مغنمًا، أو يدفعُ عنه مغرماً. وحكمُ هذا المجاهدِ كحكمِ ذلك الشهيد العصريِّ المخترَعِ الجديد، الذي ليس له عند الله منزلةٌ ولا قدرٌ ولا قيمة.

موت الأطفال

لله تعالى على خلقهِ نعمٌ عظيمةٌ جليلة، لا غنى للعبدِ عن شيءٍ منها، مهما كان بنظرهِ صغيراً أو حقيراً لا أهميةَ له.

وهذه النعمُ قسمان: ظاهرة، وباطنة، كما قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}(١).

وقال: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا}(٢).

فمن النعمِ الظاهرةِ ما فيه الهناءُ والرخاءُ والسرورُ للعبدِ في حياتهِ الدنيا، من مالٍ وبنينَ وصحَّةٍ وجاه، وغيرِ ذلكَ من كلِّ ما يُسَرُّ به العبدُ ويفرحُ ممّا أحلَّه الله تعالى.

ومن النعمِ الباطنة: الخمول، والفقر، والمصائبُ التي تصيبُ العبدَ في نفسهِ وأهلهِ وماله.

ومن ذلك موتُ الولد، الذي يأملُ الوالدُ في حياتهِ وبقائهِ الخيرَ الكثيرَ له عند كبرِ سنِّهِ ورقَّةِ جلدهِ ووهنِ عظمه، فبحسبِ الظاهرِ أن موتَ الأولادِ الذينَ هم معقدُ آمالِ الآباءِ مصيبةٌ عظيمة، ولكنها تهونُ بالنظرِ لما أعدَّهُ الله تعالى من الثوابِ للوالدينِ إذا فَقدا أولادهما وهم أطفالٌ صغارٌ في الآخرة {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ

(١) سورة لقمان، الآية ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

وَأَبْقَى}[1]، فقد جاءَ في الحديثِ الشريفِ عن رسولِ الله ﷺ: **"ما من مسلمَين، يموتُ لهما ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلغوا حنثاً، إلا أدخلهما الله تعالى الجنةَ بفضلِ رحمتهِ إياهم"**. رواه الإمام أحمد والنسائي والبيهقي عن أبي ذر[2].

وفي حديثٍ آخر: **"من قدَّمَ ثلاثةً من الولدِ لم يبلغوا الحنث، كانوا له حصناً من النار، ولكنَّ ذلك في أولِ صدمة"**[3].

وفي حديثٍ آخر: **"ما من مسلمٍ يموتُ له ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلغوا الحنث، إلا تلقَّوهُ من أبوابِ الجنةِ الثمانية، من أيِّها شاءَ دخل"**. رواه الإمام أحمد وابن ماجه، عن عتبة بن عبد[4].

وفي حديثٍ آخر: **"لا يموتُ لأحدٍ من المسلمينَ ثلاثةٌ من الولدِ فتمسَّهُ النار، إلا تحلَّةَ القسم"**. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام مالك عن أبي هريرة[5].

وفي حديثٍ آخر: **"ما منكنَّ امرأةٌ تقدِّمُ ثلاثةً من ولدها، إلا كانوا لها حجاباً من النار"**. فقالت أمُّ أنس بن مالك: يا رسولَ الله واثنين؟ قال: **"واثنين"**. رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري[6].

وفي حديث آخر: **"من كانَ له فرَطانِ من أمَّتي دخلَ الجنَّةَ بهما"**. أخرجه الترمذي عن ابن عباس[7].

ومعنى تحلَّةَ القسمِ هو قولهُ تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً}[8] والمعنى: لا

---

(١) سورة الأعلى، الآية ١٧.

(٢) مسند أحمد (٢١٤٩١)، السنن الكبرى للبيهقي (١٨٣٤٥)، كلاهما من حديث أبي ذر. أما النسائي فروايته عن أبي هريرة: السنن الكبرى (٢٠٠٤)، السنن (المجتبى) (١٨٧٦). وصححهما في صحيح الجامع (٥٧٨٠، ٥٧٨١).

(٣) رواه الترمذي (١٠٦١) وقال: حديث غريب، وابن ماجه (١٦٠٦) عن ابن مسعود، وضعفه لهما في ضعيف الجامع (٥٧٥٤) اللفظ أقرب إلى الترمذي.

(٤) سنن ابن ماجه (١٦٠٤) واللفظ له، مسند أحمد (١٧٦٧٦). وحسَّنه في صحيح الجامع الصغير (٥٧٧٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور (٦٦٥٦)، صحيح مسلم (٢٦٣٢)، سنن الترمذي (١٠٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، سنن النسائي (١٨٧٥)، موطأ مالك (٥٥٦).

(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم (١٠١)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة (٢٦٣٣)، وليس فيهما تعيين السائلة، وذكر الحافظ ابن حجر أنها أم أنس كما رواه الطبراني بإسناد جيد. فتح الباري ٣/ ١٢١.

(٧) سنن الترمذي، كتاب الجنائز (١٠٦٢) وقال: حديث حسن غريب. وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٥٨٠١) ولفظه في السنن: "من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة".

(٨) سورة مريم، الآية ٧١. والآية التالية: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً}.

تمسُّه النارُ إلا مسَّةً يسيرةً مثلَ تحليلِ قَسَمِ الحالف.

والفَرَطُ هو الولدُ الصغيرُ يموتُ للإنسان.

خاتمة الكتاب

والعبدُ الفقيرُ جامعُ هذا الكتاب: أبو عبدالرحيم كمالُ الدين محمد بنُ محمد بنِ عبدالقادر بنِ عليٍّ الحسينيُّ الأدهميُّ الطرابلسيُّ الشاميُّ مولداً (سنة ١٢٩٦هـ) المصريُّ هجرةً وإقامة (سنة ١٣٤٤هـ) يحمدُ الله تعالى على كلِّ حال، ويعوذُ به من حالِ أهلِ الكفرِ والضلال، ويُشهِدُ الله تعالى، وليشهدْ عليه كلُّ مَنْ وما خلقَ الله تعالى أنهُ راضٍ من اللهِ وعن الله، في كلِّ ما أخذَ منه وأعطاه، وحامدٌ شاكرٌ له نعمهُ ما ظهرَ منها وما بطن، وصابرٌ على كلِّ قضاءٍ وقدر، من غيرِ سخطٍ ولا ضجر، ويقولُ تحدُّثاً بنعمِ الله تعالى عليه: إن الله تعالى جعلَ له ولزوجتهِ السيدةَ الشريفةَ الطاهرةَ الطيّبةَ العفيفةَ الشابةَ الشهيدةَ قدسيَّةَ رشيدة، حفيدة الشيخِ الكبير والعالمِ الشهيرِ التقيِّ النقيِّ الصالحِ الوليِّ، الشيخِ أبي المحاسن محمد شمس الدين القاوقجي الحسني، المتوفَّى سنة ١٣٠٥هـ، من نجلهِ العالمِ الفاضلِ الصالحِ الكاملِ الشيخِ محمد جمال الدين، المتوفى سنة ١٣٤٤هـ، رحمهم الله تعالى من فضلهِ وكرمهِ نصيباً موفوراً من نعمهِ الباطنة، التي ادَّخر لهما ثوابها في الآخرة، بأن قدَّما من أولادهما ثلاثةَ أطفالٍ ذكور، لم يبلغِ الواحدُ منهم ستة أشهر، وهم حسبَ الترتيب في الوفاة: عبدالرحمن، وعبدالحليم، وعبدالله.

فبموجبِ ما تقدَّمَ من تلكَ الأحاديثِ الشريفةِ الصحيحةِ لهما البشرَى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة، وزادتْ عليه السيدةُ قدسيّةُ بأن ماتتْ وهي شابَّةٌ في الثلاثينَ من عمرها بمرضِ القلب، وهي حاملٌ في شهرها الثامنِ من حملها.

وبموجبِ ما ذُكِرَ في فصلِ الشهادةِ والشهداءِ، هي شهيدةٌ أيضاً، فلها النعمةُ والكرامةُ بما قدَّمتهُ وبما ماتتْ به رحمها الله تعالى، فقد توفيتْ ليلةَ الخميس، ليلةَ اليومِ السادس عشر من شهر الربيع الثاني سنة ١٣٤٨هـ، بمصر، ودُفنتْ بجوارِ والدها في حوش الشيخ أحمد أبي النصرِ بقرافةِ المماليك، رحمها الله تعالى وعوَّضني عنها خيراً، وقد تركتْ لي ولدينِ صغيرينِ يتيمينِ غريبين، وهما أمةُ الرحيم، وعمرها يومَ ماتتْ أمُّها نحوَ ثماني سنوات، وعبدالرحيم، وعمرهُ يومَ ماتتْ أمُّهُ نحوُ ستِّ سنوات.

ولعلَّ الله تعالى يكونُ آجرني بزوجتي المتوفاة، ويُتِم ولديَّ منها بعدها، فعوَّضني عنها خيراً بزوجتي الثانية التي تزوَّجتُ بها بعدها، وهي الطيّبةُ العاقلةُ الكريمةُ التبتُّل، الكثيرةُ التفضُّل، العطوفُ الودود، المأمونةُ على غيبتها، الكاملةُ في ذاتها، السيدةُ حميدة، كريمةُ أحمد أفندي فهمي اليوزباشي المصري، فهي تُحسِنُ القيامَ على ولديَّ اليتيمين، وقد عزَّزهما الله بثالثٍ منها، ألا وهو عبدالكريم، وهو اليومَ ابنُ ستةِ أشهر.

والله يجعلُ فيهم البركةَ والخير، ويجعلهمْ طِوالَ الأعمار، حسنِي الأعمال، ويُنبتهم النباتَ الطيّب،

ويتقبَّلهم القبولَ الحسن، ويجعلهم من خيار عباده الصالحين.

ربِّ أصلح لي في ذريَّتي وأهلي، وباركْ لي بما أنعمتَ به علي، ولا تنزعْ مني صالحَ ما أعطيتني، واجعلْ أفئدةَ الناسِ تهوي إليهم بالمحبَّةِ والمودَّة، والرأفةِ والشفقةِ والرحمة، فإنهم بأمانتكَ ووديعتك، وحفظكَ وحراستك.

يا ربِّ أولادي من الضعافِ وحالُهم ليسَ عليكَ خافي
يا ربِّ فاحفظهمْ وقمْ عليهم بالصَّونِ والكفافِ والعفافِ

وكنْ خليفتي عليهم في حياتي وبعد مماتي، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين، وسلامٌ على المرسَلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

فهرس مراجع التحقيق*

- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**/ ابن بلبان الفارسي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط.ـ ط٢.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣-١٤١٤هـ [التراث].
- **إحياء علوم الدين**/ محمد بن محمد الغزالي.ـ ط محققة.ـ بيروت: دار الهادي، ١٤١٢هـ.

  وط. بيروت: دار المعرفة [التراث].
- **الإصابة في تمييز الصحابة**/ ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق علي محمد البجاوي.- بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ [التراث].
- **أطراف الغرائب والأفراد**/ المقدسي؛ تحقيق محمود محمد نصار، السيد يوسف.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ [التراث].
- **الأمالي**/ أبو علي القالي.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ [التراث].
- **بدائع الصنائع**/ الكاساني.ـ ط٢.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ [التراث].
- **تاريخ بغداد**/ الخطيب البغدادي.ـ بيروت: دار الكتب العلمية [التراث].
- **تاريخ مدينة دمشق**/ ابن عساكر؛ تحقيق عمر غرامة العمروي.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ [التراث].
- **تحرير تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني**/ بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
- **الترغيب والترهيب**/ المنذري؛ تحقيق مصطفى محمد عمارة.ـ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ.
- **تفسير الطبري**.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ [التراث].
- **تلخيص الجبير**/ ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق عبدالله هاشم اليماني.ـ المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ [التراث].
- **جمهرة الأمثال**/ أبو هلال العسكري.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ [التراث].
- **حاشية ابن عابدين**.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ [التراث].

* المراجع التي وضع في آخرها لفظ [التراث] بين معقوفتين، هي للأقراص المدمجة التي أصدرها مركز التراث للبرمجيات في الأردن.

- **حلية الأولياء**/ أبو نعيم الأصبهاني .ـ بيروت: دار الكتب العلمية (مصور من طبعة قديمة). وط٤.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ [التراث].
- **حماسة البحتري** [التراث].
- **خزانة الأدب وغاية الأرب**/ ابن حجة الحموي؛ تحقيق عصام شقيو.ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٠٧هـ [التراث].
- **روضة العقلاء**/ ابن حبّان البستي؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ [التراث].
- **سنن ابن ماجه**/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.ـ القاهرة: دار الحديث، د. ت.
- **سنن أبي داود**/ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.ـ [بيروت]: دار الفكر [التراث].
- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**/ تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، إبراهيم عطوة.ـ القاهرة: دار الحديث، د. ت.
- **السنن الكبرى**/ البيهقي؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا.- مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ [التراث].
- **السنن الكبرى**/ النسائي؛ تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ [التراث].
- **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور**/ السيوطي؛ تحقيق عبدالمجيد طعمة حلبي.ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ [التراث].
- **شعب الإيمان**/ البيهقي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
- **صحيح ابن حبان** = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
- **صحيح البخاري** (مع فتح الباري).
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني.ـ ط٣.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- **صحيح مسلم**.ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.
- .... **الصناعتين الكتابة والشعر**/ أبو هلال العسكري؛ تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم.ـ بيروت: المكتبة العصرية [التراث].
- **الضعفاء**/ العقيلي؛ تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ [التراث].
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني.ـ ط٣.ـ بيروت: المكتب الإسلامي،

١٤١٠هـ.
- **العلل**/ عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي؛ تحقيق فريق من الباحثين؛ بإشراف وعناية سعد بن عبدالله الحميد، خالد بن عبدالرحمن الجريسي.ـ الرياض: الجريسي، ١٤٢٧هـ.
- **عمل اليوم والليلة**/ ابن السني؛ تحقيق بشير محمد عيون.ـ دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٧هـ.
- **الفتاوى الهندية**/ جماعة من علماء الهند.ـ [بيروت]: دار الفكر، ١٤١١هـ [التراث].
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**/ ابن حجر العسقلاني.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.
وط. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ [التراث].
- **الفردوس بمأثور الخطاب**/ الديلمي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ [التراث].
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**/ الشوكاني؛ تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي.ـ ط٣.ـ بيروت: المكتب الإسلامي [التراث].
- **الكامل في الأدب**/ المبرد [التراث].
- **الكامل في ضعفاء الرجال**/ ابن عدي؛ تحقيق سهيل زكار؛ قرأها ودققها يحيى مختار غزاوي.ـ ط٣.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

وبالبيانات السابقة [التراث].

- **اللآلئ المصنوعة**/ السيوطي؛ تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ [التراث].
- **لسان الميزان**/ ابن حجر العسقلاني.ـ حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية، ٢٩-١٣٣١هـ (طبعة مصورة).
- .... **المجروحين**/ ابن حبان البستي؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد.ـ حلب: دار الوعي [التراث].
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ نور الدين الهيثمي.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.
- **المجموع**/ النووي.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ [التراث].
- **محاضرات الأدباء**/ الراغب الأصبهاني؛ تحقيق عمر الطباع. بيروت: دار القلم، ١٤٢٠هـ [التراث].
- **المستدرك على الصحيحين**/ الحاكم النيسابوري؛ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ [التراث].
- **مسند أبي يعلى الموصلي**/ تحقيق حسين سليم أسد.ـ دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤١٤هـ [التراث].

- **مسند أحمد بن حنبل**.ـ القاهرة: مؤسسة قرطبة [التراث]؛ بتخريجات شعيب الأرناؤوط.
- **مسند الحارث (زوائد الهيثمي)**/ تحقيق حسين أحمد الباكري.ـ المدينة المنورة: مركز خدمة السنة، ١٤١٣هـ [التراث].
- **مسند الشاميين**/ الطبراني؛ تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ [التراث].
- **مسند الشهاب القضاعي**/ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.ـ ط٢.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ [التراث].
- **المصنَّف**/ ابن أبي شيبة؛ تحقيق كمال يوسف الحوت.ـ الرياض: مكتبة المرشد، ١٤٠٩هـ [التراث].
- **معاهد التنصيص**/ عبدالرحيم بن أحمد العباسي؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.ـ بيروت: عالم الكتب، ١٣٦٧هـ [التراث].
- **المعجم الأوسط**/ الطبراني؛ تحقيق محمود الطحان.ـ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥- ١٤١٦هـ.
- **المعجم الصغير**/ الطبراني؛ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.ـ ط٢.ـ الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ [التراث].
- **المعجم الوسيط**/ مجمع اللغة العربية بمصر؛ إخراج إبراهيم أنيس وآخرين.ـ ط٢.ـ [بيروت]: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٣هـ.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**/ عبدالرحيم العراقي (بهامش إحياء علوم الدين).
- **الموضوعات**/ ابن الجوزي؛ تحقيق توفيق حمدان.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ [التراث].
- **الموطأ**/ مالك بن أنس؛ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.- [مصر]: دار إحياء التراث العربي [التراث].
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ ابن الأثير؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي.ـ بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ [التراث].
- **نوادر الأصول**/ الحكيم الترمذي؛ تحقيق عبدالرحمن عميرة.ـ بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ [التراث].
- **الوافي بالوفيات**/ الصفدي؛ تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى.ـ بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ [التراث].
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**/ عبدالملك الثعالبي؛ تحقيق مفيد محمد قميحة.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ [التراث].

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق.....	٥
مقدمة المؤلف	١١
مآخذ الكتاب.....	١٣
الموت وأحواله وما يلقاه المرء من أهواله.....	١٣
كراهية الموت	١٧
جريمة الانتحار	١٨
حكم قاتل نفسه.....	١٩
تكريم المنتحرين	٢٠
الخوف والرجاء	٢١
التزود للآخرة	٢٤
عظة الموت والحياة	٢٥
عمر الإنسان وقيمته	٢٨
تصوير حال الإنسان في صحته وسقامه	٣١
ذكر موت الفجأة	٣٢
التبصر بعواقب الأمور، النظر بحال أهل القبور	٣٤
حالة الاحتضار وما فيها من الأهوال والأخطار	٣٥
سكرات الموت	٣٧
خروج الروح	٣٨
علامة الخير والشر في الميت	٣٩
إعلان الوفاة	٣٩
البكاء والحزن على الميت	٤٠
الصبر والتعزية	٤٢

المآتم والمطاعم ٤٧
حقوق الميت على الحيّ ٤٨
غسل الميت ٤٨
الكفن ٤٩
تشييع الجنازة ٤٩
حمل الجنازة ٥١
الصلاة على الجنازة ٥٢
التعجيل بالدفن وما يلزم فيه ٥٣
تلقين الميت ٥٤
النساء والجنائز ٥٥
إدراك الميت وكلامه ٥٦
كلام النعش أو التابوت ٥٦
قضاء الدَّين ٥٧
الوصية ٥٩
نعيم القبر وعذابه، وضغطه وكلامه ٦٠
أحوال العبد في القبر ٦٢
لغةُ السؤال في القبر ٦٥
لمحاجة منكرٍ ونكير ٦٦
الصدقات وإهداء ثوابها للأموات ٦٦
زيارة القبور ٦٧
تشريح الميت والتمثيلُ فيه ٦٩
بناء القبور وتشييدها ٧٠
احترام القبور وامتهانها ٧١
اختيار محل الدفن ٧٢
نقل الميت من جهة لجهة ٧٢

الموت في الأيام المباركة، والدفن في الأراضي المقدسة ٧٣
ذكرُ أمور تُنجي من عذاب القبر ٧٥
الوقيعة في الأموات ٧٦
الشهادة والشهداء ٨٠
موت الأطفال ٧٩
خاتمة الكتاب ٨٢
فهرس مراجع التحقيق ٨٤
فهرس الموضوعات ٨٨